همّام

في بلاد الأحقاف

مسرحية شعرية

نظم

علي أحمد باكثير

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

همّام

فى بلاد الأحقاف

مُقدمَة المـؤلف

هذه المسرحية الشعرية التي استوحيت موضوعها من الحياة الاجتماعية بحضرموت ، وكتبتها وأنا بمدينة الطائف ثم نشرتها بالقاهرة سنة ١٩٣٤ ، كانت أول تجربة لي في الكتابة للمسرح ، وكان لها صداها في الأوساط الحضرمية منذ ثلاثين عامًا !

وقد تقدم إليّ الأخ الأديب الفاضل الأستاذ علي محمد الصبان مقترحا إعادة طبعها ، ليتاح للأجيال الحضرمية الجديدة الاطلاع عليها ، باعتبارها وثيقة أدبية لمرحلة من مراحل التطور في حياة المجتمع الحضرمي ، فرافقته على ذلك ، شاكرًا له جميل اقتراحه ، راجيًا له التوفيق فيما يتوخاه من خدمة أمتنا العربية .

المؤلف
علي أحمد باكثير

٦ ربيع الثاني ١٣٨٥
القاهرة
٣ أغسطس ١٩٦٥

تصديـــــــــر

بقلم الشاعر الكبير الأستاذ النقادة

حسن كامل الصيرفي

ناظم هذه الدرامة الشعرية أديب حضرمي يحمل بين جنبيه قلبا خفاقًا ينزع إلى الحرية .. ويصبو إلى رحابها الواسعة المترامية الأكناف ، ولهذه الرغبة نراه يطوي الأنجاد والوهاد ويركب متون البحار حتى يبلغ أرض الكنانة ، رسولا من مستقبل حضرموت إلى حاضر مصر ، لينقل إلى وطنه قبساً من نور بهيّ .

هو شعلة من الحياة التي تعرف حقها من الوجود الذي يأبى الركود ، ولهذا تجّدت فيه الروح الناهضة ، التي أوحت إليه بهذه الدرامة .

هو شاب مخلص لوطنه كل الإخلاص ، فإذا كان ثائرا على حالة وطنه الراهنة ، فإنما هذه الثورة عين الإخلاص .. وما ثورته إلا الرغبة في الإصلاح.

تلمح في درامته صورا سريعة العرض تمثل ذلك القطر الشقيق رازحًا تحت أعباء ثقيلة من بدع متوارثة ، خلفتها عصور مظلمة ، وسياسة غريبة

عجيبة ، تتحكم في مصير شعب ضعيف خدرته بالعقائد والأوهام ، فسيرته في سبلها طائعا طاعة عمياء ، وليس أقدر من العقائد على أسر النفوس التي تضعها الفطرة في دائرة محدودة ، وتسهل تفكيرها ، وتقصر مدى نظرتها . فهناك فئة من الناس تتزعم الحياة الاجتماعية وتسيطر على الناس بتهويشها وخداعها ، وقد عرضت الدرامة صورا لها ساخرة منها هذه الأبيات :

وليٌّ الله ذو الحبو ... ة والأرديـة الخضر
وذو المسواك في العمة ... قد أربى على الشبر
ورب السبحة الغارق ... في التسبيح والذكر
بها يذكر في الناس ... ولا يذكر في السرِّ

يرجع ناظم هذه الدرامة جهل شعبه إلى جهل المرأة ، فهو يريدها متعلمة كشقيقاتها الشرقيات اللاتي عرفن مكانتهن من شعوبهن ، فنهضن يطلبن حقوقهن ، فكان لتلك النهضة أثرها في شعوبهن .

وبطل درامته (الشاعر المصلح) الذي جعله المؤلف شابًا مجددا يسخط على المسيطرين بخداعهم وأضاليلهم على عقول الشعب ، ويحاول جهد استطاعته بث أفكار جديدة في بيئته فلا يلاقي إلا عنتا ، ولا يوصف إلا بالكفر والإلحاد .

هذا البطل يجتهد أن يوصل أفكاره إلى الشعب عن طريق المرأة ، لأن المرأة كما يقول المؤلف على لسان سيدة من أشخاص درامته :

صاحبات الزمان نحنُ .... حياة الناس فيه والموت في أيدينا !

وهذا البطل موزّع القلب والفكر بين حبين قاسيين .. حب لوطنه ورغبة في تحريره من الأوهام وترقيته إلى مصاف البلاد الراقية ، وحب لفتاة تملك عليه شعاب قلبه .

وبين هذه الحياة المضطربة من صدمات عنيفة ، ومن جحود وإنكار ، ومن قلق وكفاح ، ومن رغبة وخفوق ، يرينا المؤلف صورًا من الحياة الاجتماعية في عاصمة الأحقاف ، كل ذلك في أسلوب طلي بسيط .

على أن المؤلف ـ بالرغم من هذه الثورة المضطرمة في نفسه ـ لم يزل يرفق ببيئته ، فهو يلطف من حدة أفكاره بألفاظ قريبة إلى روح الشعب ، فيها من إطفاء الغضبة ما يمنع سخط الساخطين وحنقهم . وله الحق في ذلك فهو يلجأ إلى مثل تلك الألفاظ لكي يستطيع بث آرائه وأفكاره .

وأرى أنه لو ختم درامته بغير ما خُتمت به لكان ذلك أشد وقعًا وأجلّ أثرًا ؛ فلقد كان يجدر به أن يختتمها بالحياة لا بالموت . وبعد فأتمنى له حين يعود إلى وطنه فيقوم بهذا الدور ، ويبث فيه الأفكار النافعة والآراء الصائبة ما تمتلئ به روحه ويزخر به إيمانه ، وأن يجعل الله خاتمة دوره الظفر والنصر وتحقيق الأماني .

القاهرة ٢٩ صفر ١٣٥٣ ـ ١٢ يونية ١٩٣٤

حسن كامل الصيرفي

الإهــــــــداء

إلى مصدر الوحي الأول !

إلى ملاكي الجميل الذي سبقني إلى عالم الخلود ، وكلما ذكرته أوحى إليّ !

وإلى الشعب الحضرمي الذي أحبه وأعيش من أجله ، أهدي :

هذه الأقصوصة

كذكرى خالدة للأول ،

وذكرى نافعة للثاني .

علي أحمد باكثير

تمهيد

مكان الرواية	:	مدينة (سيوون) عاصمة حضرموت الداخل
زمن الرواية	:	العصر الحاضر
أشخاص الرواية	:	

همام	ـ	بطل الرواية
حُسن	ـ	حبيبة همام
محمد	ـ	صديق همام ونصيره في المبدأ
علوية	ـ	نصيرة وحبيبة محمد
زهراء	ـ	أخت همام
خديجة	ـ	أم حُسن
شهاب	ـ	عم حُسن ووكيل أبيها
ولي الله	ـ	خرافي دجال يتجر بدينه
سالم	ـ	صديق محمد
الأمير أمجد	ـ	أمير البلاد
بكر	ـ	غني يطلب يد حُسن

أحمـــــــــد		
عقيـــــــل		جماعة من الأدباء
ابـن عيســى		
عبد الله المغني		
عـــــــامر	ـــ	بدوي رافق هماما في طريقه إلى الساحل
ناهيـــــــة		
ســـــعدى		أخوات عامر البدوي
لبنـــــــى		
نكرات مسرحية	ـــ	رجال وشيوخ ونساء ووصائف ومغنيات

الفصـــل الأول

« غرفة متوسطة السعة على جوانبها خزائن مملوءة بالكتب، مفروش جانب منها بسجاد رومي ثمين ، وعلى الجانب الثاني منضدة صغيرة عليها أدوات الكتابة يحيط بها خمسة كراسي بسيطة . ويظهر همام في الجانب المفروش من الغرفة متمددًا واهي الأركان ، يئن أنينًا خفيًا يشبه الغمغمة . تدخل عليه زهراء فتعرف ما به وتتجاهل فتسأل » :

المشهـــد الأول

زهراء : أخي ما بـك اليومَ ؟ إنـي أرا ك قليلَ النشـاطِ كثـير الضجـرْ
أأنـت مريضٌ وُقيت الشُّـرو ر ، وبلغـك الله طـولَ العُمُـر

هُمـام : أى إنَّ بـي مرضـاً في الفـؤا د يـا زَهْـرُ يُنذِرنـي بـالخطر
ولا تجهلـين مـاذا بصِنـو كِ ممـا بـدا منـه أو مـا استتر
فماذا وراءكِ ؟ هل من جديـ ـد يخفِّف من وجديَ المستعِر ؟

زهراء : أخي لا تَخفْ في الهوى أن تخيـ ـبَ؛ وهل يجهلُ الناسُ فضلَ القمر؟
ولا تجعلـنَّ لليـأسِ إليـكَ سبيلا ففـي اليـأس فـوتُ الوطـر
أييـأسُ مثلـكَ وهـو الرَّجيـح في الكِفَـفِ الشّـائلات الأُخَـر؟
فـأحرى بغـيرك أن يسـتريحَ إلى اليـأس . لا بـدَّ أن تنتصِـر
كـأنّي بحُسْـنٍ تُـزَفُّ إليـكَ عروسـاً تلـمُّ ذيـولَ الخفـر
تُحيـط بهـا الغانيـاتُ الحسـا نُ كالبـدرِ بين النجـوم الزهـرْ

كـأنيّ بأبياتِنـا قـد غـدتْ تُصفّـق بـالفرَح المزدهِـر
وأنتَ عـروسٌ تُحيِّي الوفـو دَ وتخطُـر بين صفـوف الزُّمَـر

هُمـام : أزهـراء لا عَدِمَتْـكِ الديـا رُ ، حديثُك يقشع عني الكدر
لأنـتِ العـزاء إذا مـا أتيـتِ وأنـتِ الهنـاء وأنـتِ الحَـبَرْ[1]
فأيـن الكتابُ ؟ أما تقرئـينَ ؟

زهراء : بلى ! ذا الكتاب معي قـد حضر
كتـاب كريـمٌ خليـق بـه بـأن يكتبـوه بنـور البَصَـرْ
«بلوغ المرام» و«سُبْل السلا م» عليـه تُحَجَّـل منـه الغُـرَرْ
أحـاديثُ طـه وآيُ الكتـا ب تلألَـؤُ فيهـا خِـلالَ السَّطر
وأقوال مُجتهدي الصحب والأئمّـ ـةِ مـن كـل حِـبْرٍ أبـر
فيأخذُ منهـا الفتـى مـا صفـا ويـترك منهـا الفتـى مـا كـدَرْ
ومَنْ لاذَ مِن بعدهـا بالهـوى فإن الجحـيمَ هـي المستقَـرْ

« يتبسم همام إعجابًا بهذه الروح الإصلاحية التي وفق لبدرها في نفس أخته . وتعرف هي أن في مثل هذا الحديث تسلية له وتهدئة لأفكاره المضطربة فتطّرد في حديثها » :

فـلا سَلِمت كُتـب الجـامدينَ ولا فـاز قارئهـا بـالوطر
صَحـائفُ لا روحَ فيهـا ولا يَجول بهـا ذكـرُ خير البَشـر
يُصـوَّر فيهـا مُحـالُ الأمـو رِ ، ويُـترك فيها مُهِـمُّ الصُّـور !
فتلـك الجواهـر أيـن الرِّمـا لُ منهـا وأيـن خسيس الحجـر ؟

---

(١) الحبر : السرور

« يستولى على همام الانبساط ويأمر أخته بالقراءة فتقرأ فصلاً من الكتاب يقول لها بعد الانتهاء »

صار فرضًا عليك أن تنشُرى هـــ ـــذا الهـدى فى جماعة النسـوان
فهُدى الشّعبِ من هـدى أُمّهـــ ـات الشعب فى كل موطـن وزمـان
وبناتُ الأحقافِ أولى بأن يحذِقـــ ـــن شتّى العلـوم والعرفـان
وبـأن يَـطْهـرنَ مـن لـوَ ثِ الأوهـام ممـا يخلُّ بالإيمـان
فيريـن الحياةَ مـن غير معنىً غير تـلك الحيـاة وهـى معانى !

زهـراء : لِتَطب يا همامُ نفسًا فما تـر جـو سأسْعى فيـه بغـيرتوان
ولـقد سرّنى استمـاعُ صديقا تى لقـولى وقْدرهُـن مـكانـى

هُـمـام : بارك اللّه فى الصّغـار ففيهـنّ قَبـولٌ للحـق إمّـا دُعينـا
إنّمـا الشرُّ فى العجـائز يجمُد نَ جُمـود الحصى فلايهتدينا !

زهـراء : نحن بالأمس ثُلةٌ ضمنا مجلسُ عُـرس فـى بيـت جـار أبينـا
ولدينـا شريفةُ جمعَـتْ حُسنًا ولطفًـا جمًّـا وعقـلاً رصينـا
سمِعَتْنى ـ ولستُ أعرفـها ـ ألـ ـقى على الحاضرات درسًا مبينا
سُقْتُ من أخبار الشـهيراتِ فـى الإسـلام مـا ردّهـن لى يُصغينـا
شـاقهن الحديـث عـن سيّداتٍ فقْن بعضَ الرجـال علما ودينا
ثـم حرّضتهُـن أن يتشـبّهن بتلـك الشـموس أو يقتدينـا
قـلتُ ليـس الرجالُ أولى بكسـ ـب العلـم منـا فإننـا مُستوونا
ومـن العلـم مـا يُعرّفنـا الديـن ومنـه مـا سـدّ فإننـا مُستوونا
وأهـم الأمـور تربيـةُ الأو لاد كـى ينشـأوا مـن العاملينـا
صاحباتُ الزمان نحن ! حياة النـ ـاس فيـه والموتُ فى أيدينـا !
إن نشـأ فـالـورى بـنـا سُعداء وشـقاءٌ حيـاتـهـم إن شِينـا

فعلينـــا لربنـــا واجبـــاتٌ ليس نبرا مـن إثمهـا مـا بقينـا
كيـف نسـتطيعُ بالجهالـةِ يومـا أن نـؤدي أمانــة الله فينـا ؟
صِحْنَ في أسماع الرجال : أليـ ـس العلم فرضًا على النساء مبينا؟
فيم غادرتُم البنات على جهـل وقمتـم تعلّمـون البنينـا ؟
هـل أقمتـم مدارسًـا للواتـي إذ أقمتـم مدارسًـا للذينـا ؟

* * *

فتدنـت تلـك الشَّـريفة مـني وحَبَتْـني مـن الثنـاء فنونـا
ثـم قـالت : عمّـن تلقَيـتِ هـذا ؟ قلـت عـن صِنْويَ الـذي تعرفينـا
عن همـامٍ . قـالت همـام أضحى بحُسْـنِ بـين الـورى مفتونـا ؟
والـذي يذكـرون عنـه ابتداعًـا بئس هـذا الـورى ومـا يَفترونـا !
إنني قد أنسـتُ مـن قولـك السّا لـفِ روحًـا فيّاضـة ويقينـا
فتساءلتُ مَن يكونُ الـذي لقّـ ـنَ هـذي الهُـدى تلقينـا ؟
فذَكَـرْتِ امـرءًا جُعلـتُ فِـدا هُ دونَ مـا عابَهُ بـه الجاهلونـا !
ليتنـى أسـتطيع أن أتلقّـى عنـ ـه شيئًا ! أنّـي لِـذا أن يكونـا
قُلـت : نفسـي فـداكِ يـا ابنـة طـه أنتـم آلُ بيتـه الأكرمونـا
ليس بدعًـا أن تنصـروا سنـ ـةَ الهـادي بنصرهـا قمِنونـا
إنما البـدعُ أن يكـون بنـو المخـ ـتار عن هديه من الناكبينـا !
غير أن مـا رأيـتُ مثلـكِ في نسـ ـوة «سَبُّوُونَ» تعشقُ المصلحينـا
إن سرًّا في الأمـر يَحْسـنُ لـو أد ريـه ، قـالت يَسـرُّني أن يَبينـا
نحن من بيت سادةٍ يكرهُ الدجْـ ـل ويأبـى من الأمـور الدُّونا

جدُّنـــا الأكـــبر الشريف « عقيـــل »
ســـنَّ نهـــج الهـــدى لنا ما حيينـــا
عنـــدنا من آثـــاره « سيفهُ المســـلُو
ل » يَفْـــري أوهامهـــم والظنونـــا

* * *

بلغـــي عـــني السـلام همامًـــا ورجـــائي إيـاه في الناجحينـــا
وغـدًا نلتقي ويحرسـك الرحمـــ ـــنُ قلت الرحمن يبقيـك فينـا
همـــام : بـارك الله فيـك ! هـذى فتـاة من سَليل الأفـاضل الأطهرينـا
جدُّهـا كـان في الحجـاز منـارًا للمعـــالي يؤمُّـــه الطالبونـــا
ذبَّ عـــن سنَّةِ النبي ولاقـــى مـــن بـــني قومـــه أذىً وفنونـــا
رَبُّ آمنـتُ بالوزراتـــهِ ! أنـتّ الله أرســـلتها لنـــا قانونـــا
هـــذه روح جدّهـا ، ربُّ وفّقـــ ـــها وآزر بســـعيها النّاهضينـــا
« يلتفت إلى زهراء مسائلا » :
ألديهـــا روجٌ ؟
زهراء : قضى زوجُهـا النحـــ ـــب صغيرًا لم يبلغ العشرينا !
وقضـــى قبـل روجهـا أبواهـا فهـي ثكلى تَعيش عيشًا حزينـا
خَبرتني عنهـا سـعيدة إذ كـانت قـد استُخْدِمتْ لديهـم سـنينا
همـــام : مَـــن يليهـــا إذن ؟
زهراء : شـــقيق أبيـــه عالهـا رغـم كونـه مســـكينا
همـــام : ذكّرينـا لكـي نواسـيَه القَيْـــ ـــنة بعـد الأخـرى .
زهراء أصـبت قمـينا

همـــام : لم تَجدْ بعد زوجهــا خاطبًا ؟

زهراء : لا .

همـــام : أو ليست حُسْنا كمـا تذكرينا ؟

زهراء : بـل هـي الحُسن كلُّـه ــ عَلِـمَ الله ــ متاع الرائـين والسـامعينا !

همـــام : غير أن الشَّبابَ في هـذه الأنحـــاء بالحسـن ليـس يَحْتفلونـــا

إنمـــا ينظـــرون للمـــالِ فالمـــال هـــو الزوجـةُ الـتي يخطبونـــا

ويَـــرَوْنَ الكمـــالَ في ذات أمٍ لا يُـــرَى زوجُ بنتهـــا مغبونـــا

تتوخـى رِضـاهُ في كـل حـين فتريــه مـــن الطعـــام فنونـــا

فكأن لم يكن لديهم من الحـبِّ سـوى مـا يسـدُّ منهـم بطونـا

المشهـــد الثانـــي

« في القاعة الكبرى للمدرسـة حيـث تقـام الحفلـة السـنوية وقد حضر إليها النـاس مـن كـل الطبقـات ليشـاهدوا التلامـذة ويسمعوا خطبهم ومحاوراتهم .

التلاميذ في وسط القاعة متميزين عن الناس والناس محيطـون بهم . همام يقوم بعد فراغ التلاميذ ويعتلي منصة الخطابة » .

يــا بـني مدرســتي إنــي لكــم نــاصحٌ يصفيكـــم النُصـــحَ أمـــين

لَبنــاتُ الشّـــعب أنتُـــم فليكـــن كلُّهــا مــن ذلــك الصّلب المتـــين

إنَّ برنامـــــجَ تدريسِـــــكُمْ ليس برنامــــج قـــومِ مرتقـين

تُرهِقون النشءَ بالحفظ فمِن حفظ تقريرٍ إلى حفظِ متون
ليس في ذاكمْ لهم من صالحٍ إنه يقتل فهمَ الناشئين
فدعوا الحشو وربُّوا فيهم ملكات الحذق في كل الفنون
استقوا التوحيدَ من ينبوعه وانبذوا كتب الصفات الأربعين
لا تريد النفس إلا حيرةً لا كأسلوب الكتاب المستبين
لم تؤلف لكم هاتيك ، بل ألفوها لِحِجَاج الملحدين
واقصدوا في الفقه لا يأخذكم ليس في الفقه غذاء الناهضين !!

« أحد الشيوخ يقوم ويحاول تسكيت همام ويصيح » :

يا عبادَ اللّهِ ! هذا مارقٌ يندب الناس إلى دينٍ جديد
أسكتوه أسكتوه ! إنه يا عباد الله شيطان مريد

شيخ آخر : هذا وهابيٌّ !

ثالث : هذا معتزليٌّ !

رابع : سدُّوا فاه

خامس : لا تدعوه يغوي الناسَ !

سادس : هذا ما كنا نخشاه !

« همام رافعاً صوته في شيء من الغضب » :

أنا لا أصغي لتسكيت امرئ أنا لا أخشى صياح الصائحين
خطبتي لا بدّ من إتمامها

شيخ متنور : أتمم الخطبة إنا سامعون

لا تُبل ؛ من رام أن يقطعها فليقم إن شاء في المنصرفين

همام : أنا لم أدْعُ إلى غير الهُدَى ... وإلى غير نهُوض المسلمين
أنقِمْتم دعوة الناس إلى ... سُنّة المختار خير المرسلين

« ملتفتا إلى الشباب »

اسمعوني يا شبابَ الحي ، لا ... يُقصكم عني مقالُ الجامدين !
.. .. ليس في الفقه غذاء الناهضين !
اقرأ وافقَه حديثَ المصطفى ... تعبروا الشكَّ إلى برد اليقين
لا تهابوا اليومَ أن تجتهدوا ... إن سرَّ العلم للمجتهدين !!
وكتاب اللهِ باقٍ خالدٌ ... تنجلى آياته في كلِّ حِين
ادرسوه درس أحياء ولا ... تدرسوه دَرْس قوم ميّتين
ادرسوه وفْقَ نهج خَطّه ... (مصلِح الإسلام[1]) ذو الفضل المبين
إنه يشْعِل في أنفسكم ... جذوةَ الدين وعِزّ المؤمنين
إنه يبعث في أرواحكم ... قوةً هائلةً لا تستكين
فَتَح الدنيا بها أسلافنا ... من ربَى الغرب إلى السور المكين
وأضعناها فهُنّا بعدها ... وغدونا مُضْغةً للآكلين
ليست الأخلاق لِينًا في الخُطى ... وخضوعًا هو للنّفسِ مهين
إنما الأخلاق أن لا تُبطِنوا ... غير ما للنّاسِ أنتم تظهرون
إنما الأخلاق أن لا تتركوا ... نصرةَ الحقّ للَوم اللائمين
رفعَ الإسلام من أنفسِكم ... فارفعوها عن دعاء المقْبَرين
لا تذلُّوا لسِوَى الله ، ولا ... تخضعوا إلا لربّ العالمين

(١) هو الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده .

« أحد الحاضرين لصاحبه » :

للّـــهِ مــــا أفصَحَـــــه !

الآخر : والحقُّـ وا للهِ ـ مَعَــــه !

الأول : لكـــــن هـــــؤلاء لا يبغوننـــــا أن نســـــمَعه

الثاني : أقوالــــــه مؤلمــــــةٌ لهــــــؤلاء موجعَــــــه

الأول : لأنهــــا تقطــــعَ مـــــا كـــان لهــم مــــن منفعــــه

همام : حَكموا الأنصــاف فيمـا بينكـم لا يكـن قـومٌ لقـوم حــاقرين

فالمســـاواة علـــى أعْدَلِهـــا ميزة الإسلام عنـد البـاحثين !

وأخـــو الحـــق إذا لم يُعْطَـــهُ أخـــذ الحـــق انتهابًــا بــاليمين

* * *

المشهـــد الثالـــــث

« بهو كبير ـ في دار أحـد أدبـاء البلـد ـ مفـروش بالبسـط الجميلة من المخمل الثمين ، منقوشة جدرانه برسوم فنية جميلة للأزهار المختلفة تحملها الأغصان الخضر . جماعة من الأدبـاء في المجلس بينهم كثير من أتباعهم المتأدبين يشربون ويتحدثون. أمامهم عـدة شـاي مصقولـة يخطـف بريقهـا الأبصـار يتولاهـا أحدهم . يدخل همام مسلمًا » .

همام : عمـوا مســاءً يـــا أصدقــائي

الحاضرون : مسِّـــيت بالخـــير والهنـــاءِ

أهــلاً وسهــلاً

أحمد : (أحد الأدباء) هذا ابن عيسى يــذم فينــا أبــا العــلاءِ

همام : في الديــن أو في البيــان ؟

أحمد : بــل في كــل الشؤون علــى الســواء

همام : لا يا ابن عيسى جزت المدى لا بــدَّ مــن العــدل في القضــاء

« ملتفتًا إلى أحمد »

وأنــتَ مــاذا تقــولُ فيــه ؟

أحمد : إنـــي أراهُ في الأتقيـــاء

همام : كِلاكُمــا قــد غــلا ، فهــذا ذمَّ ، وذا لَــجَّ في في الثنــاء

بــل هــو في شــعرِهِ إمــامٌ جَــدَّد نهجًــا للشــعراء

لكنّــه كــان في ارتيــابٍ مــن ديــن مــولاه وامــتِراء

فقــال مــا قــال غــيرَ خــاشٍ ولا مُــداجٍ ولا مُــراءِ

ومُمكــنٌ أنّــه حُظِــي في أخــرى لياليــه بــاهتداء

فرُبَّ شــكٍ أفضــى بِمــولا ه ـ بعد ما حــار ـ للجــلاء

« تدار كؤوس الشاي ويأخذ همام كأسًا »

شــرابُ الشــايِ خــيرٌ لي مــن الدنيــا ومــا فيهــا !

إذا مــا أقبلــت كــأسٌ كخــزدٍ في تهاديهــا

قــولى الهــم مــن نفســي ودانــت لي أمانيهــا !

عرفتُــم مــنْ هــو القــائلُ هــذا الشّــعرَ في الشــاي ؟

يــرى في الشــايِ دنيــاه فمــا صِحّــةُ ذا الــراي ؟

عقيل (أحد الأدباء) :

لا تعجبنّ همــامُ تلك حقيقــةٌ كالشمــس فيها الشاربون سواءُ

ما قيمة الدنيا وما فيها إذا ما لم يكن شايٌ ولا ندماء ؟

همام : إنَّ في الشاي عزاءً لصريع الهم والغمْ

لكئيب أو حزين أو عميدٍ أو متيّم

حاز لُطفَ الخمر إلا أنه غير محرّم ؟

من صفاء اللون في العين وحُسنِ الذوق في الفم

هو مَسلاة أديبٍ فيه من بلواه مَعْصَم

ورَسولٌ للتآخي يجمع الناس وينظِم

غير أنّ القصدَ في الأشيا ء منجاةٌ ومَغْنم

فغلَوْنا فيه حتى صار فينا يتحكّم

وغدا وهو على القو ت الضروري مُقَدّم !

وشربناه بلا وزنٍ وتقدير مُنظَّم

فلكَمْ يَسْلبنا الما لَ وكم يُسقِمنا كم

ولكَمْ أنحى على بيتٍ كريم فتهدّم

ولكم عائلةٍ جرّ عها صابًا وعلقم

ولقد زاد بلاءً أنه في قُطرنا عَمْ

فهو في القصر ، وفي البيت ، وفي الكوخ المرمرم !!

عقيل ـ **ملتفتًا إلى «عبد الله» المغني :**

يا بلبل الأفراح والسُّرور اصدَحْ بمُوْسيقاك في الحضور

غن لنا شعر (أبي كثير) في الشاي وانشُر ميت القبور !

(يتهيأ المغني ثم يرفع عقيرته يتغني بصوته الجميل ولحنه الطروب) :

يا صاحب القلب الشقي بقومه إرفق بهذا القلب لا يتحطمِ !

اخــدم بلادك ما استطعـت وكل إلى
مــولاك ما لم تستطعــه وسلّــمِ
ومن الجفـا أن لا تحـيي مثلمــا حيّاك وجـه العيـد مبتســمَ الفمِ
ذَرْ بعضَ همــك واقض بعض حقوقـه
لا بــدَّ للمحــزون من مُتَبسَّــم !
واقــذف شياطينَ الهمــوم بأكــؤس
تنفــضُ من (بُــرّاد) شاي مُعلَـمِ(١)
مخضـرةٍ جنباتـه فـاعجب لـه من جنـة خضـراء فوق جهنـمِ !
شاي يفـوز من احتسـاه بلثمـةٍ من كل خدٍ في الحسان ومبسمِ !
من (باسلامةَ) مثـل ذوب التـبر أوْ
من (مشعبيّ) مثل لــون العنــدمِ(٢)
مثل الطـلا في لونهـا وصفائهـا ونقيضهـا في رجسـها والمـأثمِ
لا نقـصَ عنهـا فيـه إلا أنـه حُلـوُ المـذاق وأنـه لم يحـرُمِ
فاشربه متخذاً نديمَـك كـل ذي أدبٍ متـى نادمتَـه لا تنـدمِ

همام : أحسنت يا بلبل الوادي !
آخر : أجــدت
آخر : لقد رَوَّحـ ـتَ بـالصّوت أكبـادًا وأرواحـا
همام : وقـد تفـرد بالإحسـان شـاعرُنا إذ ضمَّن الشعر توصيفًا وإصلاحا
وأنصِتوا لشاعـر من شعرائكـم سَــرِيْ
« الحامديّ » يصف الشاي بوصف عبقري !

---

(١) البراد يطلق هناك على إبريق الشاي .
(٢) صنفان من الشاي اشتهرا في حضرموت بهذين الاسمين .

روّق لها مـاء الغمـام وهاتهـا لي والحبـاب يجـول في جنباتهـا
صهباء ما عبثت بها يدُ عاصـر ما عاشـرَتْ إلا أكـفَّ سُقاتِها
من جيّـد الشـاي استحال عصـيرها
فغـدت تحاكي الشهـب في جاماتهـا
قـد راق منظرهـا ورق زجاجـها
فلِعلـــةٍ لم يُدهقـوا كاساتهـا
لولا انتصـافُ الكاس خيّـل أنهـا
في كـف ساقيهـا تقـوم بذاتها !
وإذا الهموم على النديـم تكاثفـت
وبـدت أشعتها جلت ظلماتهـا !

حقّـا لدينـا نهضـةٌ أدبيّـةٌ لا تُنكـرُ
عَمَـرت نوادينـا ، بهـا يستبشـر المستبشـر
نشـطَ البيـانُ فشـاعرٌ يشـدو وآخـر ينـثر
هـذا لعمـري مُـؤذِنٌ بنهوضنـا ومبشّـر

(يتنهد)

لكـنَّ .. مَشْـيُ العِلـم في أحيائنـا متعـثّر !
جَمَد (الفقيـه) على متو ن بالشُّـروحِ تُفسَّـرُ
وكأنهـا التـنزيل أو هـي بالقداسـة أجـدرُ !!
ويرتّـل (النّحـوي) كُتـبَ خلافِـهِ ويقـرّرُ
يمضـي عليـه عمـره لا يسـتطيع يُعَـبِّرُ !
أمـا (الحديـث فـإنهم يتلونـه كـي يؤجـروا
ووظيفة (الذكر الحكيـ ـم) علـى القبور يكـرّرُ !
أمّا سوى هـذي العلـو م فأمـره مُستَحقَـرُ

كيـف النهـوض لأمـة لا علـمَ فيهـا يُذكَـر ؟
في الديـن والدنيـا جميـ ـعًا سـيرُها مُتَقهقِـر !

أحد المتأدبين (**معترضًا**) :

إنّـا علينـا السـعي للـ ـأخرَى ؛ وللدنيـا سوانا !
او ليستِ الدنيـا بسِجْـ ـنِ المؤمنين كما أتانـا ؟

همام ا لله يـأمر أن نكـو نَ أجلَّ أهل الأرض شانا !
وأشـدهم بأسًـا وأر فعهـم وأعلاهـم مكانـا
كيمـا نقيم العدل في الـ ـدّنيا ونملأهـا أمانـا
فـإذا اتّبعنـا مـا يقـولُ فسـوف يُدخِلنـا الجنانـا
فنرى بهـا الدنيـا كسجـ ـنٍ لا نـرى فيهـا رضانـا
والدين بالدنيـا فليس يقـ ـومُ مـا ضعُفَت قُوانـا
وطبيعـةُ الإسـلام لا ترضـى المذلـةَ والهوانـا
هـذا المـرادُ ، وحسـبُنا قـرآنُ مولانـا بيانـا

« يلتفت إلى جماعة من الشبان العاطلين من أبناء السادة والمشايخ كانوا قد حضروا المجلس » :

يا بني الأشـراف قومـوا وانهضـوا
فكفـى ما كان منكـم من كَسَـلْ
اعملـوا لا تتوانَـوْا واعلمـوا أنّ هـذا دينَنـا ديـنُ عمـل
بينمـا النـاسُ علـى أعمـالهم بـين تشـمير وجـدّ مكتمِـل
تتهـادَوْن كأسـراب القطـا وتمشّوْن كقُطعـان الهمَـل !؟
أفـلا يغشاكـم فيـه حبًا ؟ أو لا يلحقكـم فيه خجَـل ؟

أحدهم : إنهم أشياخنا ينهوْننا عن تعاطينا لأعمال السفل
فعلينا العلم أن نخدمه وسيُغنى من على اللّه اتكل !
همام : إن هذا الرأي منهم خطل وأراكم لا تقِرون الخطل
فمتى عُدَّ من العار على سيِّدٍ مسعاه في خير السُّبُل ؟
يجلب الخير إلى أهليه مِنْ والدٍ أعمَى وأمٍ تبتهل
وأخيَّاتٍ على أوجهها كمُدة اليأس ولألاءُ الأمل !
تتمنى ما لدى جاراتها من أثاث وحلْيٍ وحُلل
أو لم يكتسب المختار في عهده والآل والصحب الأول؟
طالب العلم ولا كسبَ له بسؤال الناس لا بُدَّ يذِل
ليس من لم يكتسب متكلا إنما الكاسب عين المتّكل !

* * *

أبني الرسول تعلموا وتدبروا سُنن الحياه
لا تجمدوا ! إن الجمود سبيل من كره النجاه

* * *

أسلافكم وجدودكم شهدوا عصورًا غير هذا
فلو انهم شهدوه ما انتبذوا عن الدنيا انتباذا

* * *

لا تجعلوا أعمالهم حججًا ، ولكن محِّصوها
فخذوا محاسنها وخلّوا ما ترون الريْبَ فيها

* * *

لا بـأس مـن تمجيـد ذكـــ ـــراهم ففي التمجيد ذكـرى !
كم حاضـرٍ تحـت الرمـــو س أفـادَهُ ماضيــه نشـــرا

* * *

لكـن بحيـثُ يُهيــب نحـــ ــــو المجـد منطلــقَ القيــودِ
العصــر غـــير العصر والــ ــأشبال أبنـــاءُ الأسـودِ !

* * *

كـــانوا هــداة النـــاس بــل كـــانوا ملائكـــة التُّقـــى
قـد أكــبروا شـــأنَ الفنا ءِ وأصغـــروا شـــأن البقـــا

* * *

لمـــا ســرت رُوحُ التصـــوّ فِ والتبتّـــل فيهـــــمُ
مقتـــوا الحيـــاة كأنّهـا أشـــياءُ لا تَعنيهـــــمُ

* * *

فـالموتُ هَمُّهمـــو ، وغـــا يــةُ همهـــم دار المــآبْ
فَعُنُــوا لهـــذا بالقبـــو ر ومـــا إليهـــا مـن قِبــاب

* * *

وتعشـــقوا الموتـــى فأحــــ ــيَوْا لادِّكـارهم المواســـمْ
يجــدُون عندهــم العـــزا عن عيش سـوءٍ غــير دائـــم

* * *

فقفــوا أمـــامهمُ خشـــو عًـــا في ســكون واحـــترام
فقــد انقضــت أدوارُهـــم فعليهـــمُ أزكى الســـلام

* * *

شَــهدوا زمانًــا فيــه قــد غلــب الجمــودُ علــى ذويــه
أنلومهـــــم ظلمًـــا لأنْ كانـــوا فريقًـــا من بنيــه !؟

* * *

إنـــا لنظلمهـــــم إذن وهــم التّقــاة الصــالحون
رامــوا رضـــى مولاهـــمُ في كل شـــيء يعملـــــون

* * *

لكـــن عليكـــم أن تكـــو نـــوا للحقيقـــة طالبينــــا
لا تقبلـــوا ما جاءكــــم عـــن هـــؤلاء مُسَلّمينــــا

* * *

وتدافِعــوا عنــه ـــ علــى جهــلٍ ـــ بحق أو ببــاطل
ليســوا بمعصومــين عـــن خطـأٍ وإن كانـــوا أفاضــل

* * *

اليـــوم قـــامت نهضـــةٌ في عـــالم الإســـلام حيَّــةْ
وســـرت إلى الديـــن الحنيـــف حياته الأولى القويّـــةْ

* * *

شبّتْ بهــا الحــربُ الضّــرُو س علــى الطــوارئ والبــدعْ
مما بـــه الأهـــــواء قِـــد مًا ألصقتـــــهُ والتشيّـــــعْ

* * *

فلقـد هـوَتْ بالمســلمين إلـــ ـــى الحضيـــض الأوهــدِ
وقضــت على أوطانِهـــم للمســـــتبدِّ المعتـــــدي

* * *

لا بـــدّ مـــن هـــذا الرجـــو ع إلى الكتـــاب الخـــالد
وإلى هُـدَى المختـــار والــ ـسَّلف الحكيـم الرّاشـــد

* * *

فعليكمـــوا أن تدخلـــوا هـــذا الغمـــار ولا تكعُّـــوا
أنتـــم بنـــو الهـــادي فمـــا في سبقكـم للفضـــل بِـدْعُ

* * *

كونـوا مِثـال النُّبـل كـو نـوا قـــادةً للمســـلمين
والدين كونـــوا في طليــ ـعة ناصريـــه المصلحـــين

* * *

واقضـوا علـى الأوهـام لا تَجـدَنَّ بينكـم نصـــيرا
ومـتى دعـوتم للصـــلاح هديتـم بشـــرًا كثـــيرا !

* * *

وتعلّمـــوا أن الـــورى في شِـرعة الهـادي ســواءْ
ما الفضـــل إلا بالتّقـــى والكـــل من طـين ومـــاءْ

* * *

أمـــا التّقـــاليد القديمـــه فاتركوهـــا أجمعـــا
أو لم تكُـنْ للفتنـــةِ الــ ـعمياءِ فيكـــم مهيعـــا ؟

* * *

عـادٌ جـرت قِدْمـا يطـول بـــ ـــها القـويُّ علـى الضعيـفْ
ألعصـر يمقتهـا ، وليس يقـــ ـــرّها الديـن الحَنيـفْ !

(يرى ثلة منهم يتهامسون)

فيـمَ تهامَســـون ؟ ومـمّ تعجبـــون ؟

(ينظر بعضهم إلى بعض ويجيب أحدهم) :

القـــــوم لِلَّـــــذي قـد قلـتَ مُنكـرون !

آخر : يقولـون ترشَّـدت !

همام : وهـل بالرُّشْـدِ مِـنْ لـوم ؟

فهـذا (قُطْـب الإرشـا د) ربّ الفضـل في القـوم !

أحدهم : نحن نعنى فئة النصب الـتي أبغضتنـا آل بيـت المصطفـى !

جاهرتنـا بـالعِدا في (جـاوةٍ) وبوادي (حضرموت) في الجفـا

همام : سُؤتم ظنًّا ، ومـا زلتـم لمـن جـاءكم بـالنصح تبـدون الجفـا

إنـي من أعظـم النـاس لِمـا كان من شَغْبٍ (بجاوا) أسـفا

وأراهـا سـبة تجعلنـا في عيون النـاس بيـن السُّـخفا

غـير أني لا أرى أعظـم أسـ ـبابها إلا جمـودَ الشُّـرفا !

وقفوا في وجـه سيْلٍ لـو تولّـ ـوه بالحُسنى لأروى وشـفى

فطغـت أمواجـه ، حتـى لقـد جرف الأسـداد فيمـا جرفـا !!

حكّمـوا الأهـواءَ ثـم انطلقـوا بالأهـاجي يمـلأون الصحفـا

ونَسُـوا أن المبـادي لا تـرى نُجْحها مـا لم تـؤاخ الشَّـرفا

* * *

أنـا لا أعـرف (إرشـاديَّةً) لاَ ولاَ (رابطـةً) أو جنفـا

إنمـا أعـرف (إسـلامية) تجمع النـاس على عهـد الصفـا

تجعـل النـاسَ سـواءً لا تـرى فيهـم ربًّـا ولا مسـتضعفا

أنـا لا أعـرف إلا أننـا قد غوينـا مـذ هجرنـا المصحفـا

أنـا لا أعـرف إلا أننـا نشـر الجهـلُ علينا السُّـدَفا

فغدا العُــرفُ لدينا مُنكــرًا ... وغــدا المنكرُ فينــا عُرُفــا

* * *

أنــا لا أعــرف إلاَ دعــوةً ... (لجمـال الديـن) شقّت غُلفـا

تنـدب النـاس إلى ديـن الهـدى ... مثلمـا كــان بعهـد المصطفـى

لا خرافــاتٌ وأوهــامٌ ، ولا ... بــدَعٌ تحســب فيــه زلفــا

تفتــح العلــم علــى أبوابــه ... في وجـوه المســلمين الحنفــا

ليكونـوا سادة الدنيـا ــ كمـا ... وعــد الله ــ عليهــا خُلفــا

ولقــد أيّدهــا تلميــذه ... « عبـده » فيمـا دعــا أو ألّفــا

بــثّ روح الحــق في أتباعــه ... فغــدوا فينــا غيوثــا وكُفــا

فلنبــثّ الــروح فينــا هــذه ... في إحيــاءٍ ووفــاق ووفــا

لنحوز الفــوز في الأخرى وفي ... هــذه الدنيا المقــام الأشرفــا

* * *

يا بــني الأحقــاف توبــوا للهــدى

واتبعوا (الذكـر) ولــوذوا (بالسـنن)

وانشــروا العرفــان في قطركــم

واستغلــوه وأحيــوا كل فــنّ

وتناســوا ما مضــى وامتزجــوا

وارحضــوا الأحقــاد عنكم والإحــن

* * *

بينكم جنــس ، وديــن جامــع

ولســان وعهــود ووطــن

(ســتار)

الفصـــــل الثانـــــي

المشهـــــد الأول

« همام في مكتبه الذي يستقبل أصدقاءه فيه يتصفح أوراقا له ورسائل . يستأذن عليـه « محمـد » .. يتعانقـان ثـم يجلسـان على كرسيين متقابلين تفصل بينهما المنضدة .

همام : أخـــي ! أيـــن تغيّبــــت ؟ فعهـــدي بـــك مـــن شـــهر
جـــرت في الربـــع أحـــداثٌ وظـــني بـــك لم تـــدرِ

محمد : ذهبـــتُ إلى زيـــارة شيــــ ـــخ آهـــلِ الكشـــف والســـرّ
(وهنا يبتسم ابتسام السخرية)
عمـــود الديـــن في « قَيْـــدو نَ » شـــيخ الـــبر والبحـــر
ألم أخـــبرك إذ يمّمـــتُ مـــا يمّمـــتُ مـــن أمـــري ؟

همام : (متنفسا الصعداء)
بلـــى إنـــي ذكـــرتُ الآ نَ ! فـــاقبل يـــا أخـــي عـــذري
بلانـــي الله بـــالحبّ ! فعقلـــي ذاهـــل دهـــري
نهـــاري كلـــه فِكـــر ! وليلـــي مدمـــع يجـــري !
ولا ينفعـــني علمـــي ولا رأيـــي ولا فكـــري
ولا المشـــهور مـــن فضلـــي ولا المتِيـــع مـــن شـــعري !

محمد : أخـــي ! لا تنـــس أن تصـــبر فـــالنّجح مـــع الصّـــبر
وخـــلّ اليـــأس ولتقـــرأ معـــي : إن مـــع العســـر

لمـــا تـــألمُ في جســـــمي ومـــا تغتـــمُ في صـــدري !
ومـــا يحملـــه ظهـــرك محمـــول علـــى ظهـــري !
ألا تخـــبرني مـــاذا جـــرى طِيلـــة ذا الشـــهر ؟

همام : جـرى .. مـاذا جـرى ؟ لا شيء غـير الضيـم والقهـر !
« وليُّ الله » ذو الحُبـــو ة والأرديـــة الخُضـــر !
وذو المسواك فى العِمَّة قـــ ـــد أربـى علـى الشـبر !
وربُّ السـبْحة الغـــار قُ في التسـبيح والذكـر !
بهـــا يُذكـــرُ في النـــاس ولا يذكـــرُ في الســـرّ
ومـــن يمشـــي بعُكـــازَين مـــن أتباعـــه الكُـــثر !
يطـــاطي رأســـه لـــلأر ض كالبـاحث عـن سـرّ !
تدنّـى مـن (شـهاب) سـا عيّـا بـالختل والمكـــر
أتـــاه خاطبًـــا (حُســـنًا) لراشـــي دينـــه (بكـــر)
و لم يـــألُ اجتهـــادًا عنـــ ـــده في الغـض مـن قـدري
رمـــاني بصنـــوف الزيـــغ والبدعـــة والكفـــر
ولا تجهـــل طـــرقَ القـــو م في الحيلـــة والخـــتر !

محمد : خفف عليك ! فإن أمرك هـين والـرأي يبصـره ذوو الأحـلام
أفقِـدْ عـدوَّك روحـه بسـلاحه وافلل شبا الصمصام بالصمصام

همام **(في شيء من العتب والموجدة)**

أتريدنا نرشو الخبيث كما رشا بكرًا ؟ وأيـن مقامه ومقـامي ؟
إن لم نكف عن الآثـام نفوسنا فعـلام ننقـم ضلّةَ الأقـوام

محمد : لا يُخْطِ ظنك ما أردت ، فلم أرِدْ
إنّا نلوذ بسُبّة وملام
إنّا لنربأ أن نقارف خلة تزري بمبدئنا القويم السامي !
لكن أردت سقوط هذا المرتشي
بطريقة تكسوه ثوبَ الذام
ونرى مخازيه الأنام ليقلِعوا عن هذه الأوثان والأصنام !
من كل قاسي القلب ينصب دينه لقضاء لذّات وجمع حطام
سأطيل محنته ، وأبطل سحره قسرًا وألصِقُ أنفه برغام
وسيُبْصِرنّ ذوو العقيدة فيه في
بردَيْه أيَّ مدجِّل أثّام !

همام : (وهو يبتسم ابتسامة الإعجاب والرضى)
بوركت يا خير الصحاب ! وبوركتْ
روح الشجاعة فيك والإقدام
لِتَنم جفوني ما سَهِرْتَ فإن أنم
وسهرتَ أنت فلستُ في النوام
محمد هاتِ عن قَيْدو نَ ماذا كان من أمر ؟
وما شاهدتَ في الموسم من عُرف ومن نُكْر ؟
وهل وفّقْتَ في الإنكا ر والتذكير والزجر ؟

محمد تَوافَى الناس أفواجًا إلى قيدونَ كالذّرّ
فمن ساعية تمشي ومن راكبةِ الحُمر
هناك الساحة الكبرى تحاكي ساحة الحشر
بها ما شئتَ من لهو ومن لغو ومن هَذْرِ

وقـد غُصَّتْ بأشـتات مـن الآسـاد والعُفـر !
تبـارت ثـمَّ في الحِلْـ ـية والأبـراد والخُمـر
وقـد يقتُلـن بـالمِعصم أ و بـالنظر السـحري !!
مـن الظُّهـر إلى العصـر إلى مُنْبَلَـج الفجـر !
هنـاك الخسـر في الديـن وحسـب النـاس مـن خسـر
ولا يربَـح في تلـك الـ ـزيارات سـوى النَّخْـر
وأمـا سـادن القبـة فهـو الرابـح المـثري !
تُسـاق لـداره الأكيـا س مـن حَـبٍّ ومِـن تمـر
و(للصنـدوق) مـا يـا ع مـن ورْقٍ ومـن تـبر !

* * *

ولمـا حضـر الوقـت تداعَـوْا كضحـى النَّفـر
وأمُّـوا نحـو قـبر الشيـ ـخ بـالطبل وبـالزَّمر
يصيحـون : وليَّ الله جئنـاك إلى القَـبر !
أتينـاك لكـي تحمِـلَ عنَّـا ثِقـلَ الـوِزْرِ
وكَـي تُسْبلَ يـا قطـبُ علينـا ضـافيَ السِـتر
وفي الأنفـس حاجـاتٌ بهـا يـا سـيّدى تـدري !
أتينـاك لكـي تقضَـى ونحظَـى منـك بالسَّـتر

* * *

ولمـا وصلـوا القبـةَ داروا دَوْرة الحُمـر
وأهـوَتْ راحُ ذاك الجمـ ـعِ في التابـوت بالنقـر

فــلا تســـمع إلا مـــا .... يصيـــب الســـمع بـــالوقر
هنـــاك النـــاسُ غـــيرُ النـــــاس في الإخبـاث والذِكـر !
فهـــذا خـــاضع شـــاكٍ وهـــذا دمعـــه يجـــري
وهـــذا ينشـــج النشـــجة تســتعصي علــى الصــدْر !
وهـــذا يُرعَـــدُ الرَّعـــد ة في أعضائــــه تســـري !
وهـــذا ينـــذر النّـــذرَ وهـــذا جـــاء بـــالنذر
وهـــذا صـــائح : يـــا سيِّـــدي عطفًـا علـى فقـري
علـــى عجـــزي وإهمـــالي علـى ضعفـي علـى ضـري
وقـــد جُلِّلـــتِ القبَّـــة بالزينــــة والسِــــتر
وبَيْضـــاتٍ مـــن البلّـــور عُلّقـــنَ علـــى الجُـــدْر !
فمـــن حُمـــر إلى صُفـــر إلى زُرق إلى خُضـــــر
ومصبـــاح كبـــير الضـــوء مثـــل الكوكـــب الـــدرّي
وللتـــابوت معنـــىً مِـــنْ جـــلال العِتـــق والقـــدر[1]
قـــد اســـودَّ مـــن التقبيـــل في مختلـــف العُصْــــرِ !
عليـــه ضِبَـــبُ الفِضّـــة في أســـودَ كالحِـــبر
فتبـــدو كثغـــور الزِّنـــج إذ تضحـــك مـــن أمـــر !
فثَـــمَّ الضـــم والتقبيـــل بـــالثغر وبـــالنحر
تلاقـــى فيـــه دَمْعـــا الشـــاب والجاريـــة البكـــر !

* * *

(١) العتق : القدم .

ولمـــا ســـكن الجمـــعُ سـكونَ المـــوج في البحـــر
تـــراءى النـــاس شـــيخًا ذا شقاشـــقَ فيهـــم هُـــدْرِ
ينـــادي : أيهـــا النـــاس اهْـــ ـــنأوا بـــالفوز والنصـــر
بهـــذي النعمـــة العظمـــى بنيـــل الفضـــل والفخـــر
قصـــدتم بـــاب ذى عطـــفٍ وذي جـــود وذي بـــرّ
وإنّ الشـــيخَ لا يـــترُكُ مـــن زار بـــلا أجـــر !
عليكـــم بخلـــوص القصـــ ـــد في الســـر وفي الجهـــر
وبالتســـليم للأقطـــا ب والخِدمـــة والصَّـــبر
وإيـــاكم وســـوءَ الظـــ ـــن بالصوفيّـــة الغـــرّ
فـــأهلُ اللّـــه هـــم . جـــازُوا منـــاطَ النهـــي والأمـــر !
ملـــوكٌ لهـــم التصريـــ ـــف في الـــبر وفي البحـــر

* * *

سمعنـــا أنْ في (حـــدرى) تباشـــيرَ مـــن الكُفـــر ![1]
تصـــديٌّ ناشـــيءٌ غِـــر بـــلاه اللّـــه مـــن غـــرّ !
يُربّـــى الشَـــعْر كالفُسَّـــا ق إذ يُعْنَـــوْنَ بالشَّـــعر
تلقـــى مـــن فنـــون العِلـــ ـــم مـــا زاد علـــى القَـــدْر
فـــأغواه وأرداه وجـــاء النفـــع بـــالضّر
ومـــن شِقْوتـــه استحلـــى حميـــمَ الأدب المـــزري
جـــريءِ القلـــب لا يعبـــ ـــأ بالتهديـــد والزجـــر

---

(١) تطلق حدرى على ما سفل من حضرموت كشبام وسيوون وتريم . وعلوي على ما علا منها كدوعن وعمد ووادي العين .

يبث السم في الجاهـ ـل والعلاّمة الحِبْر
يسيء الظنَّ بالأقطا ب أهل المدَد السِّرّي !
له أتباعُ سوءٍ كلُّـ ـهم يدعو إلى الشّرِّ

* * *

هنا قمت وقد ضاق بي الواسع من صدري
وما باليت بالغوغا ء في عسكرها المجر
وقلت اسكت عجوز السو ء يا داعية النكر !
عدو الله والإصلا ح ! هل تهذي ولا تدري ؟
أتدعو الناس للنكر وتهجو داعيَ الخير
فصاح الشيخ : غولوه فذا من شيعة الغِرّ
فلولا أن تسلّلت من الجمهور بالفرّ
لكانوا أعدموني مهـ ـجتي بالضرب والدَّفر(١)

همام : (**يضحك ويقوم إلى محمد ويضرب على كتفيه**)

حماك الله من سوء وقاك الله من شَرّ
لقد قمتَ مقاماً لا يُوازي عُظْمَه شكري
ولا بد لذي الإصلا ح من عزم ومن صبرِ

* * *

---

(١) الدفر : الدفع في الصدر .

المشهــــد الثانـــي

« في دار (حسن) في الطابق الثاني . غرفة كبيرة مفروشة بمختلف السجاجيد الثمينة ، مكسوة جوانبها التي تلي الجدار بالمفارش الجميلة عليها الوسائد والمياثر الناعمة .

علويـة : **(داخلة الغرفة)**
أيهـا الربــع سـلامٌ عنّيكـم !

خديجة : **(ناهضة لاستقبالها)**
وعليكـم ألـفُ ألــفِ سـلامِ !
مرحبًا أهلاً بشخص كريـم مرحبًـا بابنـةِ قـوم كــرام
(تتصافحان فتجلسان)

علويـة : يا صبــاح الخــير !

خديجة : هــذا صبــاحٌ بـكِ طَلْـقٌ ثغـرُه في ابتســام

علويـة : كيف حـال الربـع ؟

خديجة : في خــير عيـش نسأل الرحمن حُسْـنَ الـدوام

علويـة : أين حُسنٌ ؟ إن شوقي لحسـن مثل ما اشتاقَ إلى الماء ظـامي !

خديجة : هـــي في غرفتهـــا

علويـة : إئذنـــي أن أراهـــا ..

خديجة : هي ذات احتشــام
تستحـــي من زائرينـــا
(تقبل الخادم بعدة الشاي)

علويـة : ومــــاذا ؟

خديجة : قصدُنـا الأنـسُ وطيـبُ النّـدام

علويـة : قَســمًا أشْـرَبُ إلاّ إذا مـــا نشـرتْ حُســنٌ بسـاطَ المـدام

خديجة : (**مبتسمة**)

أتُجيديـن احتيــالاً كهــذا ؟

علويـة : إنما أمْلَــى احتيـالي هيامــي

(تقوم خديجة ثم تقبل وتقبل وراء ها حسن تمشي على استحياء)

علويـة : (**قائمــة**)

مرحـبًا بالبــان يهــتزُّ لينًا ! مرحـبًا بالبــدر بــدر التمام !

(تدنو فتقبل حسنا على خدها فتقبلها حسن على رأسها وتجلس إلى عدة الشاي)

يـوْه ! مــا أجملهــا مــن فتــاةٍ يــوْه ! مــا أصلحهــا لُهمــام !

صلـواتُ ا لله تغمــــر طـــــه وحماهــا ا لله مــن عــين رام

(يخفق قلب حسن ويتصاعد الدم إلى وجنتيها فيتوردان وتطرق حياء وتتشاغل بإصلاح الشاي)

خديجة : (**في تجاهل واستغراب**)

مَــن همــــام ؟

علويـة : تسألينـــي عنـــه ؟ ليس يخفـى البـدرُ بـين الأنـام !

ذلــك المُصْلِـح زَيْــنُ شــــباب القُطر ذو الهمةِ والإعتزام

ذلــك الحــالي بكــل جميــل ذلــك العــاطل مــن كــل ذام

ذلك المشهــور في كل قُطــر بمزايــــاه الكِثــارِ العِظــام

والذي سـارت بحُسنِ قوافيـ ـه إلى مصر وأقصى الشام

(تلاحظ ارتياب خديجة فيما إذا كانت هي رسولاً من همام وسفيرًا له)

لا تظنيني رسولَ هُمام أنا لا أعرف شخص همام
إنما آسفُ أنَّ كريمًا مِثلَه يُمنى بقوم لئام
هو يسقيهم كئوسَ حياةٍ وهمُ يسقونه كأس سام[1]

خديجة : ما تقولين ؟ أليس همام حاد عن نور الهدى للظلام ؟
ودعا الناس إلى أن يقولوا فيه ما قد زَوَّروا من كلام

علوية : ما استطاعوا أن يَزُنُّوا إلا بالذي يُعليه أسمى مقام

خديجة : إن قلبي ليَودُّ هماما ورضى بنتي أقصى مرامي !

(تلاحظ علوية من كلام خديجة أنها مقتنعة بحب حُسن لهمام فتقاطع حديثها وتلتفت إلى حسن قائلة) :

أتحبين هماما :

حسن : **(في تلعثم وخجل)**
ومَن لا يعـ .. ـشق الحُرَّ الحسيب العصامي
فـرَع الناسَ بعلم وخُلق وجهادٍ في الهدى واعتزام !

خديجة **(عائدة لتتمة حديثها)**
غير أني لا أطيق كلام النـ ـاس في زوج ابنتي بالملام
فلزوج البنت عندي محلٌّ في السويداء من القلب نام
خبّريني كيف أدفع عنه حين يُرمى بالفِرَى وأحامي
ليته خلّى زمام الورى فيـ ـهم ، فما كان بربِّ الزّمام
فيم يهتمُّ بأمر سواه وهو لمّا يَعْدُ سنَّ الغلام ؟

---

(١) السام : الموت

لـو تملـى بليـالي صبـاهُ فمضـت في غبطـة وسـلام !
لـو تخلى عـن شـؤون البرايـا وتولّـى شـأنَه باهتمـام !
وتعامـى عنهُـمُ !

علويـة : هـو يخشـى غضـب اللّـه لهـذا التّعـامى
فالذي يكتـم علـمَ الهـدى يُلْـجَمُ مـن نـار لظـّى بلجـام
إنمـا ضـرّ البرايـا تعـامى هـؤلاء العلمـاء الضخـام
يبصـرون النـورَ وهـو مضـيء فيلـوذون بسـتر الظـلام !
ويـرون النـاس في ليـل جهـل يتدجّـى أفقـه بالقتـام
يـتراءمون علـى كـل قـبرٍ ومصـاب الديـن في ذا الـترامي
ويـرون المنكـرات عظامًـا فـتراهم عندهـا كالعِظـام
ويقولـون : لنـا بـالألى قـد غـبروا مـن قبـلٍ حسـن ائتمـام
أنـرى نعـزو إليهـم ضـلالاً وهـم أمثلـةُ الاعتصـام ؟
مثـل هـذا عذرهـم وهـو عـذر سـوف لا يقبـل يـوم القيـام !

* * *

فخليـق بفتـى كهمـام أن نـرى غيرتـه في اضطـرام
إذ يـرى موطنـه في انحطـاط ويـرى أمتـه في انقسـام
دب فيهـا داءُ جهـل وخلـفٍ وعـداء قـاتلٍ وخِصـام
فانـبرى ينعشـهم مـن خمـول ومضـى يوقظهـم مـن منـام !

خديجة : فهبيني قـد رضيت ، فمـن لي بشهابٍ وهـو صعب الزمـام ؟
وهـو لا ينفـي ويثبت أمـرًا بسـوى رأي (الوليّ) الإمام !

جاءه من قبل عشرين يومًا فنهاه عن قبول همام
ورجا تزويج حُسن (لبكرٍ) فبه اليمن وحسن الوئام
قال : إن المصطفى يتأذى من همام ، قلبه منه دام
وأولو البرزخ سوف يغيرو ن عليه عاجلاً بانتقام

علوية : (في غضب)

ذلك الدجّال لا ريب فيه أوليُّ الله عبد الحطام ؟؟
قد رشاه بالريالات بكرٌ والرُّشى للقطب غير حرام
أفؤاد المصطفى غير راض عن غيور عن هداه يحامى ؟!
وأولو البرزخ كيف يغيرو ن على حيٍّ وهم في الرجام ؟؟
معشرٌ ماتوا وصاروا إلى النيـ ـران ، أو صاروا لدار المُقام
تُرَّهاتٌ جعلوها من الديـ ـن ، تعالى ديننا المتسامى !

* * *

المشهد الثالث

(علوية تزور زهراء في بيتها)

علوية : صديقتي ! إني لمشتاقةٌ إليكِ

زهراء : واشوقي للقياك !

(تتعانقان بلهف)

أهلاً بمأتاك ، وشكرًا لذكـ ـراك فقد جرّتك ذكراك

علوية : عندىَ بشرى لكم

زهراء : بشّرى علَّ المنى في طيٍّ بشراك

علوية : أيـــن همـــــام ؟

زهراء : أهـي بشـــرى له ؟ هاتـــي أطـــال ا لله محيــاك !

فإنـــه ثـــمَّ علـــى حالـــةٍ من الأسى يبكـي لها البـاكي !

علوية : يبكـي لها البـاكي ؟ ألا ويحــه ويـح لـذاك الأسـد الشــاكي !

زهراء : هـاتي أبيـني : مـا الـذى جئتنـا بــــه ؟ رعـــاك ا لله مـــولاك

لعـلَّ أن تفثـأ عنـــه الأســى يمنـاكِ ، مـــا أبـــرك يمنـــاكِ !

علوية : خديجـة ليَّنـــت مـــن قلبهـــا على همـــــام

زهراء : هـــل جـــرى ذاك ؟

كيـف وأيـــن ومتـــى ؟

علوية : زُرْتُهـــــــا أمـس وهـاكِ مـا جـرى هــاكِ

« تقص عليها حديث أمس كلـه مما جرى بينهـا وبـين خديجـة وحسن .

تستأذن زهراء لتبشر هماما . تنطلق إلى غرفته وتعود بعد حـين إلى علوية » .

زهراء : بشـــرته فـــانهملت عينـــه مـــن فـــرح مـــا كـــان لـــولاك

وقـــام مـــن مضجعـــه ناهضًـــا يشـكر حــقَّ الشـكر مسـعاك

علوية : لم آت مـا أُشـكر مـن أجلـه !

زهراء : بمثـــل ذا اللطـــف عرفنـــاكِ

إن همامًـــا قـــانع في الهـــوى بكذبـــة مـــن فـــم أفـــاك !

ويـــأخذ اللفظـــة فـــألاً لـــه مـــن قصـــةٍ يوردهـــا حـــاك !

وقد يـــرى الحليـــم فيعِنـــدُه نور رجـاء وســـط أحـــلاك

فكيف لا يبكي سرورًا وقد جاءته بشرى مثل بشراك ؟
أما شهابٌ فله خِلّه محمد ذو الخلق الزاكي
لازلتما عون أخي دائما والله يرعاه ويرعاك !

* * *

المشهد الرابع

« سالم في بيت السيد (ولي الله) لتحقيق المهمة التي كلفه محمد إياها . يدخل على ولي اللّه في غرفة فخمة مزدانة بكل ما يستطاع الحصول عليه من الفرش الثمينة والمتاع النفيس . يجده مستندًا إلى جمهرة من الوسائد مادًا رجليه لرجل عنده يكبسهما ».

سالم : سيدي يا صاحب السر العظيم يا ولي الله يا غوث العديم
متّع اللّه بمحياك الورى إنما وجهك مصباحُ العتيم
الولي : مرحبًا بالخادم البرِّ الذي خصه الرحمن بالقلب السليم
حَسِّن الظن بأهل السرِّ يا خادمي تحظ بجنات النعيم
آه - لو يعرفني هذا الورى لأتوني من قصيّات التخوم
أنا جيلانيُّ هذا العصر ، قد وطئت رجلاي أعناق النجوم
خضت بحرًا وقف الخلق على ساحليه في ذهول ووجوم -
من رآني أو رأى من راءني فهو محظور على نار الجحيم
أهل هذا القطر ما دمت به في رخاءٍ وهناءٍ مستديم
يولد الطفل على عيني ، كما يرحل الراحل أو يغني المقيم
أسعد الناس بنا أحسنهم نيةً فينا فذاك المستقيم

وأشدُّ الناس خسرًا من بنا ساء ظنًا فهو شيطان رجيم !
ذاك في نار لظـّى مهما يكنْ كامل التقوى يصلي ويصوم !
ولقد قام أخيرًا ناشئٌ صرفته عن رضى الله العلوم
رام إسقاط مقام الأوليا جاهدًا ينفث في الناس السموم
زاعمًا أنّ الورى في ضلةٍ وهو يمشي وحده النهج القويم
هكذا من كان لا شيخ له من أولى الباطن في الغي يهيم!!

سالم : سيدي علَّ همامًا قصدكم ذلك المفتون بالرأي السقيم

الولي : نحن لم نعن سواه

سالم : أنا لي في علاج الناس أسلوب حكيم
ربما اسطعتم به إن شئتم أن تردوه عن الغيّ الذميم

الولي : أنت لا تستطيع أن ترجعه للهدى أو تحييَ العظم الرميم
إنَّ هذا لمحال !

سالم : إنّني بالذي يُغري همامًا لعليم !
إنّني أعرف مثوى ضعفه فسأرميه بنبلي في الصميم
إنّه يهوى فتاةً لشبها بِ هوى قيس لليلي في القديم
هو في غير الهوى ضرغامة وهو في الحب ضعيفٌ كالظليم
وشهابٌ خاتمٌ في كفّكم ليس يعصى لكم الأمر الكريم
لو سعيتم لهمامٍ عنده فضمنّا لكم أن يستقيم !

الولي : (في غضب وهياج)
ليت شعري كيف أقضي حاجة لفتى نغص من عيشي النعيم ؟
كبه الله على منخره ! وسقاه الله في النار الحميم !
كم عناني أمره من ماردٍ ! ولكم عذّب قلبي بالهموم !

والـذي نفسـيَ فـى قبضتــه وبـه السَّبْع السـماوات تقـوم !
نحــن لــولا أنَّ في غضبتنــا حِطةً من رتبة (القطب) الحليـم
لضربْنــا ضربــةً تنسِــفه وتركنــاهُ كمــذْروّ الهشــيم
وأصــابتْ بيتــه نائبــةٌ تذهل المرضع عن رعي الفطيـم
سالم : إنمـا نقضـي علـى أنفاسـه إن جعلنــاه إليكـم يسـتنيم
إنَّ هــذا لهـوَ الـرأي الـذي يحفظ الناس من الـداء الوخيـم
الولي : أتــراه يرعـوي عــن غيّــهِ إن أعنّاه علـى نيـل المـروم ؟
سالم : ذاك مـا لا شـكَّ فيـه ، وأنـا لكـم بـالكفِّ عـن ذاك زعيـم
الولي : خـادمي ! رأيك هـذا صائب فهمـام خطـرٌ فينـا عظيـم !
غـير أنَّ الأمـر قـد فـات ولم يبـق في الرأي مجـال للحكيـم
قـد خطبناهـا (لبكـر) قبلـه وحبانـا منـه بالمـال الجمـوم
فرميناه (بصندوق القـرى) لغريــب أو فقـير أو يتيــم !
(يسكت قليلاً ثم يقول)
كـم همـامٌ دافعٌ مـن مالـه ؟
سالم : ضعف بكر أيها المولي الكريم
الولي : ذا إذًا ألــف ريــال ! هاتــه قم ! وثق أنّا سنقضي مـا يـروم
إن بكـرًا ذو غنــًى ، لكنــه يـابس الكـفِّ شـحيحٌ ولئيـم !
سـيرى عاقبــة البُخْــل غــدًا عندما يُخطِئه الوجـه الوسيم !

(يستأذن سالم بالانصراف فينصرف . يعود إلى بيت ولي الله من الغد)

سالم : قــد فعلنــا كــلَّ شــيءٍ وظفِرْنــا بهمــام
وارتضى مـا قـد شـرطنا ه عليــه بــالتزام
وهـو مسـرورٌ بهـذا شـاكر سـعي الإمـام
تـارك دعوتـه النكـ ـراء مـن أجْـل الغـرام

الولي آخـذ أن ليـس يؤذيـ ـكم بفعـلِ أو كـلام

سالم : أينَ ما أعطاك ؟ هـل أقـ ـبلتَ بالمـال الـلزام ؟!

الولي : هـاك تحويـلاً إلى « جـا وَا » بـألف بالتّمـام
(يمد يده للتسلم)
هاتـه ليـس لِجَيْـبي بـل لصنـدوق المقـام !!

* * *

المشهـــد الخامــــس

بين ولي الله وشهاب :

الولي : جـاءَني الليلـة آتٍ في المنـــام صائحـا يهتـف حســـنُ لهمـام
إن بكـــرًا فســـدت نيتــــه فـي توليهـا بحـبٍّ واحـــترام

شهاب : إنـــه يـا ســيدي مبتـــدع

الولي : إنـه قـد تـاب عـن هـذا الإثـــام

شهاب : **(في استغراب)**
ومتـــى تــــاب ؟

الولي : أتـــاني نادمًـــا أمس مما بثّ في النـاس السمام
إذ دعونـــا ا لله أن يهديـــه سمـــح ا لله بـــإدراك المـــرام

شهاب : **(في خضوع وتسليم)**
ليكــن مــا شـئتم يـا ســيدي نحن نرضي رأي مولانـا الإمـام

* * *

المشهـــد الســادس

بين زهراء وخديجة :

زهراء : صديقـــتي ! إنَّ قلـــبي ممـــا فعلتـــم لموجـــعْ
أشـــتاقكم غـــير أنـــي مـــن وصلكـــم أتمنَّـــعْ
فـــإنَّ جرحـــي منكـــم فيـــه الأســـا[1] ليـــس ينفـــعْ
ولـــو أطعـــت صوابـــيَ مـــا جئتكـــم أتســـكع

خديجة : زهـــراء : لا بـــأس بالعتـــب فهـــو للـــودّ أجْمَـــع
مـــا ســـاءَ قلبـــك مـــني ؟ قـــولي لعلـــي أرجـــع !
فربمـــا خـــبّ واشٍ فينـــا إلى الدحـــس يهـــرع[2]
وذا زمـــانٌ لئيـــمٌ فيـــه المـــودات تقطـــع

زهراء : إن همامًـــا شـــقيقي لـــه بقلـــبي موضـــع
فنيلكـــم منـــه نيـــلٌ مـــني بغـــير تـــورُّع

خديجة : زهـــراءُ ! أســـرفت في تهْـــمَتِي ، فبَعْـــضَ التســـرُّع
فمـــا ذكـــرت همامًـــا إلا بمـــا عنـــه يســـمع
مـــن الخـــروج علـــى النـــاس في تقـــاليد تتبـــع
قصصـــت ذاك لعصمـــاءَ مـــن بنـــات المشـــفع
لأنهـــا لهمـــام رأيتهـــا تتشـــفع
قامـــت تدافـــع عنـــه بحجـــج ليـــس تدفـــع

(١) الأسا : مصدر أساه يأسوه داواه أي لا تنفع المداواة فيه .
(٢) الدحس : إفساد المودة بين الصديقين .

وإن قلبي ليهوى حبيب (حسن) المشيع
زهراء إذن فماذا التأبي منكم وهذا التمنع ؟
إلا رحمتم فتى من هجرانكم يتوجع
تكاد أحشاؤه من نشيجه تتقطع
خديجة : إن الإبا من شهاب وما لما شاء مدفع
لأن رأي شهاب للعارف القطب يرجع
زهراء : (في غضب)
القطبُ لِصٌّ عن الإرتشاء لا يتورّع
يشرى ويبتاع « حُسنًا » خلف المطامع يهبع
كأنها سلعة في السُّوق تحطّ وترفع
ألمْ يبعها « لبكرٍ » ذاك البغيض المُدفع ؟
كأن سود الدياجي بوجهه تتلفع
ثم ارتجي من همام همام ألفًا لكي يتشفع
وربما باعها في غدٍ لزيد ومرتع
والناس ظنّوا أباكم تسلم المال أجمع
إن الوليّ عن السوءِ عندهم يترفع !
أبوكم ليس يدري مما عن الناس يسمع
ولو درى لتبرًّا من الوليّ المرقّع
خديجة : (وهي تتألم) :
أقد تُحَدّثَ عنا بذاك في كل مجمع
يا ويلتاه ! أنؤتي من حيث لا نتوقع ؟
إنا أناسٌ على عزّ نا نحامي وندفع

أعراضنـــا هــي أغلـــى مـــا في الحيــــاة وأمنـــع
لــو كــان يــدري شــهابٌ لمـــا تهنّـــا بمضجـــع
وسـوف يـدري عسـى عـن هـــذا المدجـــل يُقلـــع

(تتنهد وتستعبر)

يـا ليـت (سـعدًا) لدينـا في أمرنــا اليــوم يقطـــع
لمـــا ألانـــا اجتهـــادًا في أخــذ مــا هــو أنفــع
لكنـــه غـــاب عنّـــا تســـع ســـنين وأربـــع
في أرض (جـــاوا) الـــتي تـــأكل الرِّجـــال وتبلـــع
راحَ ليجمـــع مـــالاً لنـــا بــــه نتمتـــع
يا بئــس مـا جمعـت كفّـــ ــه ومـا هــو يجمــع !!
مـــاذا يفيــد الغــني مــن يخســـر أهـــلاً ومربـــع
تزوجــت « مزفــةٌ » عُـــرْ ســـها بـــه لم يُمَتَّـــع
تُســـأل : أيـــن أبوهـــا ؟ فـــلا تُجيـــب ، وتدمـــع
وهـــذه أختهـــا أوشـــ ـــكت تـــزف وتخلـــع
فواشـــقاءَ حيـــاةٍ فيهـــا الفــؤاد مـــوزَّع

* * *

المشهد السابع

(بين سالم وشهاب) :

سالم : مـــالي أراك كئيبًـــا ؟ مُنْقَمًــا يــا شــهابُ ؟
فمــا أصــابكَ ؟ قــل لي
شهاب : إنــي بخطــبٍ مُصــابُ !
ذاك الــذي كــان يدعــي بذكْــره ويُجــابُ
ومَــنْ بغرتــه كــان يُسْــتَدَرُّ السَّــحاب !
مــن كنــت أبصِــرُ أخطــا ءَه وهُــنَّ صــوابُ
قــام يُلــوِّثُ عرضــي بمــا بــه النَّــاس عــابْوا
فقيــل إنــي طَمُــوع بالمــال وهــو كِــذَاب
لــولا المُدَجِّــلُ هــذا لمــا علانــي عــابُ
لله درُّ هُمــــام فهــو الحكيــم العجــاب
إذ قــال : أمثــال هــذا في المتقــين ذِئــابُ !!
وإنمــا ســترتهم عــن العيــون الثيــاب !
فمــا نــراه شــرابا مــا هــو إلا ســراب
سالم : أنــا الــذي ســلّمته مــالَ هُمــامٍ بيــدي
فــلا تكــن مــن أمــره في شــكٍّ أو تــردُّد
إن هُمامًــا لَلعصــا مــيُّ الكريــم المحتــد
مهمــا يقــل فإنــه زيــنُ شــباب البلــد
رآك لا تصغــي إلى غــير كــلام (الســيد)

ولم يجـــــــد إلا وليّ   الله خــــيرَ مســـــعد
فلــم يــدع رأي صديــــ   ـــقه الفتــى « محمـــد »
ولم يكـــن ذاك الـــذي   يهـــدي الـــورى بمهتـــد
مَـدّ إلى الدرهـــم جيـــ   ـــدَ ذِلّـــةٍ في صَيـــدِ !!
وكـــان مـــا كـــان فـــلا   تغضـــب ولا تفنّـــد
أنـــت عليـــك الغُـــرم   والغـــم لـــرب المـــدد !
هـــذا جـــزا تـــارك رأيـــ   ـــه لـــرأي أحـــد !!

* * *

المشهـــد الثامـــن

(بين شهاب وبكر) :

بكر : يا عـــم مـــا الـــذي جـــرى ؟   ردَدتَ مـــــنيَ اليـــــدا
ألســـت قـــد قبلتـــني   فمـــا عـــدا ممـــا بـــدا ؟

شهاب : (يتجلد ويخفي غضبه)
حظـك يـا بكـر ـــ الـذي   حـــلاً عنـــك المبـــوردا
فـــاطلب ســـواها تلـــ   ـــقهنّ كالرمـــال عـــددا

بكر : (في وقاحة)
وأيـــن أمـــوال الـــتي   أنفقـــت فيهـــا بـــددا ؟

شهاب : لمـــن دفعتهـــا ؟!

بكر : لمـــــوْ   لانـــا الـــوليّ المقتـــدى !

شهاب : (في سخرية)

إذن فخذهـــا منـــه لا تطلـــب ســـواه أحـــدا

بكر : (معترضًا)

أعطيتـــه لأنـــه كـــان لكـــم معتمـــدا

شهاب : (في غضب)

خسـئتَ يـا نـذلُ فقـم وخـلِّ عنـك اللـدا !

أليـس فينـا حاكـمٌ يحكـم هـذي البـلدا ؟

فاشـكُ إليـه مـن علـى مالك ـ إن شئتَ ـ اعتـى !

بكر : (في تضعضع وخجل)

إذن ... فمـالي كلُّـه

.. أكلـه .. وازدردا ..

إذن ... فلـم يعطـكَ مـن مـاليَ ... شـيئًا أبـدا .. !

أمـا اكتـفى بمـا ارتشـاه نصفَ ألـفٍ عـددا ؟

يـا ويلتـا ! واحسـرتا ! واحزَنـا ..! واكمـدا !

لأرفعـنَّ أمـرَه إلى الأمـير « أمجـدا »

أفضحـه عنـد الـورى ..!

شهاب : (وقد سرى عنه)

الآن أبصـرتَ الهـدى !

بكر : (يتنهد)

فليمـض مـالي لطهـر سـيئاته فِـدّي !!

* * *

المشهـــد التاســـع

(همام في مجلس الأمير « أمجد » وقد دعاه إليه) :

الأمير : أتـدري يـا همـامُ لأيّ أمـر دعوتــك لي ؟

همام : لخـير يـا أمـيري ؟

الأمير : ألم تعلـم بمـا اجترمتـه كفـا ولي الله مـن إثـمٍ كبـير ؟

همام : بلى هـذا حديث قد فشا في حمانـا في الكبـير وفي الصغـير

الأمير : فمـاذا أنت يا سنـدي مشير به في مثـل ذا الأمر الخطـير ؟

همام : أرى أن تَحْبسـوا الجانـي وأنْ لا
تمسُّـوه بسـوء أو نكـير
فمطلق حبسه كاف ـ أراه ـ لردع سـواه من أهـل الشرور

الأمير : ولكـن والـدي يخشـى علينا ـ إذا عاقبته ـ سوءَ المصـير
يُحـاذِر دعـوةً منـهُ علينـا فتُلحِقُنـا بأصحـاب القبـور

همام : أمير ما عهدتـكَ غير حـرٍّ طليـق الفكر متقد الشعـور
وحسـبك ما قـرأت عليـك طـردًا
لأوهـامٍ توسـوس في الصُّـدور
أتعـرفُ إثمـهُ وتخـاف منـه ؟
أتقبـل دعـوة العاصي الكفـور ؟؟
كـذاك الوهـم تُشـربه نفـوس فتشـهد مـا تُخيَّـل مـن أمـور
وقـل لأبيـك ذا بكـرٌ شـكاه وهتّـك مـا عليـه مـن ستور
فلو كان الولي لديـه حـولٌ لكان رمـاه بالسهـم المـبير

فإن تحبسه جئت به دليلا يسجِّل عجز أقطاب الغرور
فليس أذاه مقصودًا ولكن لِيبْطل سحرهُ بيد الأمير !

الأمير : لقد قررت هذا الرأي قبلاً فبورك في ذكائك من مشير
وإن الدّجل أبغض كل شيءٍ على الدُّنيا يضيق به ضميري

* * *

المشهد العاشر

(يأتي لزيارة محمد فيستقبله محمد في غاية الحفاوة)

شهاب : محمدُ أنتَ الجريءُ الفؤاد وأنت صديق هُمامَ الوفي
فلو كان من ربِّهِ مُرسلا لكنتَ حواريَّه المقتفي
وتعلم ما كنت أوذِي هُما ما به غيرَ هادٍ ولا منصف
أتابعُ في أمره مُفسدًا يبيع ويبتاع بالمصحف !
وإني على ما مضى نادمٌ وأنت بإصلاح أمري حفي[1]

محمد : ألا مرحبًا بالسَّليم الفؤاد وبالطَّاهر السيرة الأشرف
بعثم حبيْبة خير الرِّجال بمن لا بصهْر هُمام الوديع الصَّفي
بمن لا يُقِرُّ على المنكرات وليس يُطاطئُ للمِعْسَف[2]
همامٌ يُحبّكَ مهما فعلتَ به عن ولائك لا ينتفي
يراكَ أباهُ فمهما قسَا عليه لتأديبهِ يعطِفِ

---

(١) عارف وخبير . (٢) هو الظالم الشديد العسف .

(يبتسم شهاب وتتهلل أسارير وجهه)

شهاب : فلله ما كان أنقى همًا ... مًا وأشرفَ أخلاقهُ الساميه !
أضارسُه ثم يبقى ودودًا ... عليَّ طويَّته صافيه ؟
محمد : بقدر نبالَةِ أخلاقِهِ ... يحبُّ حبيبَتهُ الغاليه !
تمادي به حبُّها فهو لا ... يقِرُّ القرار له ثانيه !
يبيت يناجي نجوم السما ... ء ويخضع أدمعه العاصيه !
ويجلس في بيتهِ للطّعا ... م إذا ما أجاب له داعيه !
فيُذهلُه الحبُّ عما لديه ... حتى لتنكفِئُ الآنيه !!
وإني لأخشى عليه ــ إذا ... تماديتم ــ الضربة القاضيه
هنالك نخسر زَيْنَ الشبا ... ب ونحرَم أنفاسَه العاليه !
ويسألكَ الله عن مهجةٍ ... ــ قضت بك مصلحة هاديه
شهاب : (وهو يبكي)
كفى يا محمد ! إني أتيت ... لتكفير أعماليَ الخاطية
فلو كان ذنبُ هُمام فحسب ... عليَّ لخفَّ على باليَه
أزَوِّجُه اليوم من حسنِهِ ... فيغفر زلاّتي الماضيه
ولكنّي قد عصيت الإله ... وعرّضت نفسيَ للهاويه
لقد غرَّني وعد ذاك الوليّ ... بمحو خطيئاتيَ الخاليه
وبشَّرني أنه قد رأى ... قصوريَ في الجنة العاليه
فلم أتزوَّدْ لدار البقاء ... اتّكالاً على الزُّلفِ الواهيه
فأيقنت ذا اليومَ أن ليس ينـ ... ـفعني غير أعماليَ الزاكيه
وأن ليس يمحو خطاياىَ ... غير النّصوح من التوبة الماحيه
نصائح كان ينادي بها ... همامٌ فنرمي بها ناحيه
فها قد بدت لجميع الأنام ... مخازي مُدجلنا الغاويه

محمد : سلامٌ عليك دموعك هـذي لتطهير أدرانها كافيه
فلا تبتئسْ ، إن ربًا هداكَ ليبغي بكَ الخيرَ في الثانيه

« يريد شهاب النهوض فيمسكه محمد قائلا »

وأمرُ هُمام ؟؟

شهاب : وماذا يريد همـامٌ وليس لحُسْنٍ سواه
هي اليومَ بينَ يديه وما مُناي من الدّهر إلا رضاهْ
ولكن. حديث (الرُّشى[1]) المستفيض شوّش أفكار أمِّ الفتاه
فما زال يلهَج أهل الحِمى بأن (الوليَّ) همامٌ رشاه
وأن شهابًا تسلَّم أموالَ بكرٍ ولم يُعطه مُبتغاه
فقالت نؤخّر تزويجَ حُسنٍ لِنقطع ألسن هذى الوشاه
فما كان لِلمال إيثارُنا ولكن لعلمٍ وفضل وجاه
فأوص صديقك أن يطمئنّ إلى الصبر حينًا ليلقي مناه

محمد : ألا ليت شعري ماذا يقول همامٌ إذا رُعته بالخبر ؟!
أقدّم باقة زهر له وأطوى له الصّلّ بين الزهر
فلو رُحت تنصَحُها بالعدول عن رأيها ! علها تأتمر !
علامَ تبالي كلام الطّغام وما ينطقونَ بغير الهذَر ؟
وأعيان (سيوونَ) تدري الـحقيقَ وبعد غدٍ يظهر المستتر
سَيُحْبس هذا الوليُّ الشقي وتفضح سوءاته والعرر

(١) جمع رشوة .

شهاب : لعلكَ تجهل أنّ النساءَ إذا قلن شيئًا فهُن القدَر
ولا يَرعوين عن الرأي لو وضَعْتَ بأيمانِهن القمر
فكم قد سعيت وكم قد نصحت ولكن كأنّي نصحت الحجر

محمد : إذن لن يطيق همام المقامَ هنا ،

شهاب : ليرحْ نفسه بالسفر
إلى الشام أو مصر أو للمهاجَر (جاوَةَ) أو للبلاد الأخر
وبعدَ ثلاثين شهرًا يعود ، وسوفَ تمرُّ كلمح البصر
هنالك تبلغ سِنَّ الزّواج (حُسْنٌ) وتنضج نضج الثمر
وربَّمَا عاد (سعدٌ) إلينا فيزهو به عُرْسنا إن حضر

(ستار)

الفصـــــل الثالـــث

المشهـــــد الأول

« بين همام وزهراء » .

زهراء : (في جزع)

أهمـــامُ خـــبّرني بـــودّك لي   مـــالي أراك تنضّـــد الكتبـــا ؟
مـاذا اعـتزمتَ أأنـــت تاركنـــا   للحادثـــات تســومنا الكربـــا ؟

همام : (في حنو)

لا يـا أخيَّـــة ! أجملـــي جزعـــا   لا ينـس قلـب المؤمـن الربـــا
سـفري لطـول إقـامتي سـببٌ   ولـرُبَّ بُعـدٍ أعقـــب القُربـــا

(يتغير وجهه)

إنـى أخـــافُ إذا مكثـتُ هنـــا   أن لا أطيقَ فـــأقضيَ النّحبـــا !

(يخالط صوته البكاء)

أيسـرٌّ قلبـك أن أمـوت أســىً   في الرَّبـع إذ تبكيـــنني ندْبـــا ؟
أو ما رأيـتِ القـوم قـد قطعـوا   صوتَ الحيـاة وكـان قـد لبيّ !
حفلوا بسمعتهم ـ كما زعموا ـ   لكنّهـــم لم يحفِلـــوا الصَّبـــا
لِيمُــت شــهيدًا مــن يشــاءُ ولا   يتوهمـــوا في عِرضهـــم ثلْبـــا
آه ! أهـــذا كلُّ ما أ تمنـــى ؟   ولقـد وهبتُ الـــروحَ والقلبا !

(يتذكر حسنا ويستحضرها كأنها ماثلة أمامه تسمع ما قاله فيستحي مما تكلم به في أهلها)

يا حسنُ ! معذرةً فـأهلك نـا لهـم المـلامُ ومـا جنَـوْا ذنْبـا
حــاولتُ عَتبهــمُ بتَــوْءدةٍ لكنــي لم أُحســـن العتبـــا
ورضاك همي في الحياة ؛ فإن ترضَىْ رأيـتُ عذابهـا عذبـا !
وإذا غضبت غضبت في بصـري فـأرى الخليقـة كلها غضبى !
(ينتبه من ذهوله إلى أنه بحضرة أخته الحنون)
زهــراء خليــني لأرحــلَ عــن هــذي الديـار فأسـلوَ الحبّـا
فلقـد لقيـتُ بـه دواهـي لـه رُعْـنَ الجبـالَ تركنهـا تربـا
هيهـاتَ هيهـاتَ السُّلوُّ ! ويـا ليت السلوَّ يُبـاع أو يُحبـى !
أفكلمـا سَـفَرَ اللقـاء أتـى آتٍ فسـدَّل دونـه الحجبـا !
أو كلمـا ابتسـم الربيع لنا جرت الدبـور وهبَّت النكبا ؟
زهراء : (آسفة على أن هيجت أخاها مشفقة عليه)
عفـوًا هُمـام فليـسَ قصــ ـدي أن أهيجك يا ابن أمـي !
لكــن شــجاني أن تفــا رقنـا وتركـب ظهـر يـمّ
إنَّ البـلاد لسـوف تَفْــ ـقد فيـك نجمًـا أيّ نجـم
نجـمٌ يفيــض هدايــةً وسـناهُ مـن خلـق وعِـم
تبًّـا لدهــر دأبُــه يَرمــي أفاضِلــه فيُصمــى
أيصَـدُّ مثلـك عـن مطـا لبـه ويُمتَـع كـل فـدْم ؟
أهمـام إن كنـت اعـتزمتَ علـى الرحيـل فخيرَ عـزم
إذهـب وعُـدْ عمـا قريـ ـب بـين عافيـةٍ وغُنْـم
سـيكون ربـك حافظًـا لـك في الفـلاة وفي الخضـم
ولسـوف تـدرك مـا تؤمِّــ ـلُ مـا ظللـت إليـه ترمـي
ثقــيّ بحســن أن تُعيــد ك خففـت حـزني وهمـي

همام : (في حزن وأسف)

لكـــنَّ حُســـنًا لم تشـــأ تنويـــر خطـــبي المدلهـــمّ
كـم قـد كتبـتُ لهـا الرسـا ئـل بـين منثـور ونظـم
فتصـــدّ عنهـــا لا تجيـــب كأنهـــا لا تعـــرف اسمـــي !!
وطلبـــتُ منديـــلاً لهـــا ليكـون في الظلمـات نجمـى
ويكـــون أنســـي في البعـــا د يكـفُّ مـن حزنـي وغمـي
آوي إليـــه إذا نـــزا قلـــبي بضـم أو بلثـم !
ولقـــد أتـــاني ردُّهـــا لكـــن تعـــثر فيـــه فهمـــي
وإليكـــهِ فاتليـــه ثـــمّ اقضي على حُســن بحكـم

(يناولها رسالته إلى حسن وعلى ظهرها الرد منها)

الرســـالـــة :

حبيبـــة قلبـــي علّليـــني بتنويـــلِ
أَقَـــضِّ زمانـــي في رجـــاء وتأميلِ
بعثـــتُ إليكِ الكتب تترى ، فلـم أفز
ببعـضِ جـــوابٍ منكِ يا غاية الســـول
كأني لم أحمـــل هـــواكِ ، ولم يكـــن
لقـاؤك قصـدي في الحياة ومأمـــولي !!
وهـذي النـوى قد أوشكت أن تميل بي
إلى عـــالمٍ من رقعـــة الأرض مجهـــول
أقَضِّي به دهـــرًا قضيتـــم به علـــى
حُشاشـــة صـــبّ عاثِـــر الجدِّ مخذول

فجـــودي بما أمَّلــتُ منكِ وأجملــي
وداعــًا لمفتــون بحُبــكِ متبــول
وإني لراضٍ منكِ يا حُسْــنُ باللّفــا
بقطعـــةِ ثــوب أو بشقّــةِ منديل ،
لعلــي أسْطيـــع ابْترادًا من الجــوى
بضمّـــي إيَّاهُ لصــدري وتقبيلــي ؟

همــام

الــــرد

جوابُكَ عنــدي ما تظنُّ ، فلا تــرم
بكُتْبـك إحراجــي فإنك ذو علــم
وإني فتــاةٌ ليس أمــري في يــدي
فإن شئتَ فاطلـب ما تؤمّل من أمــي

حُسن

زهراء : **(تلتفت إلى همام والكتاب لا يزال في يدها)**

همــام أمّــا جــوابُ حُسْــنٍ فإنــــه أبلــغُ الجــواب
دلَّ علــى الحــبِّ والتفــاني فيــكَ إلى عِفّــةِ الجنــاب
وإنهــا إن تحــبَّ يومــاً ففي حمى الصَّون والحجـاب
إن كتابًــا يــأتيكَ منهــا رســولُ آمــالِك العِــذاب
ما تبتغــي أنــتَ فـوق هــذا يأتيك من غــادة كعــاب ؟
لــولا هــوًى صـادقٌ لديهــا لم تــر منهـا نصـف كتــاب
وســوف آتيــك بالذي رمْــتَهُ فــلا تبــقَ في اكتئاب

المشهـــد الثانـــي

(همام على حماره في طريقه إلى الساحل (المكــلا) بعـد أن شيعه إخوانه وأصدقاؤه . أمامه دليله البدري عامر يقــود جملا له يحمل زادهما)

همام : رويدًا رويـدًا حِمَـار البعــادِ فـإنك تبعـدُ بـي عـن حبيبـي !
ولم يك خطـوُكَ فـوق الـثرى ولكنـه فـوق قلـبي الكئيــب !
أراك كنعشٍ بجســمي يسـيرُ ولكـن إلى غـير قـبرٍ قريــب !!
فيا بعــد (سَيْوون) عـني؟ ويـا دُنُوْكِ (جاوةُ) من ذي السُّهوب!
عليهـا الســلام ســلامُ الـودا عِ، سلامُ البكاء ، سلامُ النحيب
سلام على حسن بين العذارى سلام على قلبهـا في القلـوب !
ســلام على دارهـا في الديــار سلام على دربها في الدروب ؟
ســلام علـــى أهلهـا الطيبـين مــن كــلِّ بَـرٍّ كريـمٍ نجيــب
ســلام علـى وَطـنٍ طــاهر تضوَّع منهـا بمسـكٍ وطيــب
سلام سلام على ساعدي الـــ أشدِّ وصِنْوى المطيع الأديــب
سلام على خــيرة الأصدقــا ءِ محمـــدٍ الألمعـــيِّ الأريـــب
سلام على لطـــف زهــراء إذ تفرّج همي ، وإذ تعتـــني بي !

(يخرج المنديل من جيبه فيضمه إليه ويقبله)

أتعلم يا منديل أنّكَ مُؤنسي ... وأنّك عندي للكريم المحبب
وما ضرَّ من ينأى - وأنت بكفه ... أنيس نواه - أنه يتغرّب

(يمر على آثار مزارع قديمة مندرسة يتمهل في السير قليلاً يتأمل في تلك الآثار) .

انظر إلى هذي السهول فقد ... كانت مزارع ما لها حد
كانت جنانا لا فُجاءَ بها ... - غير الممر لراكب - تبدو[1]
من عدوة الوادي القصيّ إلى الـ ... أهضام من حَدْراه تمتدُّ
عمَر الجُدُودُ بها مواطنهم ... فغنّوا وعيشهم بها رغد
ما بعد عام الألف ما قدُمَتْ ... منه العهود وما بها بُعْدُ
لما تجفَّ بها مواطيءُ أقْـ ... ـدام الألى اشتغلوا بها بعد
البُرُّ والسمراءُ ، والذُرّة الـ ... ـبيضاءُ والأفواهُ والرندُ !
والنخل والأعناب حافلةً ... بقطُوفِهن كأنها شهد !
والسِّدر يفرش في الفضا بسطا ... من سُنْدسٍ خُضرا فينسد
فهنالك النعماء تخطر ما ... بين الحقول يزينها البرد
لله عيشهم فلا كَدرٌ ... يعتاق صفوهم ولا جهد
دَعْ عهدها العاديَّ من قِدَمٍ ... فلقد تقادم ذلك العهد
إذ كانت الأنهارُ جارية ... تحت الجنان كأنها الخلد !

---

(١) الفجاء جميع فجوة . ورد في الرحلة المتوكلية وصف حضرموت على عهده حوالي سنة ١٠٦٠ أنها كانت بساتين ممتدة من حضرموت إلى المسفلة لا فجوة بها خالية من الأشجار والزروع إلا مقدار ما يمر الراكب .

تلـك الحقـائق لا يُصدقهـا ... قـوم عيـون قلوبهـم رمـد
تلكـم بقاباهـا تـدُلُّ علـى ... مـا كـان ــ سَدٌّ دُونه سـد !
يحتـاز مـاءَ القطـر يقسـمه ... بين الأراضـي حُكمهـا القصـد
فنمت مزارعهـا فمـا فَتِئَتْ ... فيهـا الغيـوث تـروح أو تغـدو
هي سُنَّةُ البـاري فمـا كـثر الْـ ... ـأشجار فالأمطـار تشـتد

* * *

قف سائل الآثار كيـف ذوت ... تلـك الخمـائل فهـي ذي جُـرد
تخبرك إن نطقـت : وربَّتمـا ... نطـق الجمـاد وقولـه الرشـد
في بطـنِ أرضٍ أنـت واطئهـا ... همـم تصـول فليـس ترتـد
تصبـو إلى العمـل المفيـد تـرى ... أن السـعادة ركنُهـا الجـدُّ
فتلاهُـمُ خَلْـفٌ كـأنهم ... لا سـاعدٌ لهـم ولا زنـد !
فَسَـبِيْلُنا ترديدنـا أبـدًا : ... نعم الجـدود وبئست الولـد !!

* * *

المشهـــد الثالــث

في منتصف الطريق على مقربة من الريدة (بلاد البدو)
(همام يلتفت ـ وقد كادت الشمس تغرب ـ إلى بدوية عامر)

همام : سر يا أخا البدو وحَثحِث جملك   لا يُظلم اللّيلُ ويشــتدَّ الحلــك
ونحــنُ لـمَّا نــأت بعدُ منزلك   أبلغــكَ الله بخــيرِ مأمــلك
ولا أصــابَ الحـــبُّ يومـــًا مقتـــلك

عامر : هُمام يا خــير سَراة العُــرب   لا تذكــر الحــبّ لِعــانِ صــبٍّ
متــى دعـــا داعي الهوى يُلبّ   إني أحـــسُّ ضرَمـــًا في القلــب
يدفـــع في صَدري ويكـــوي جنبي !!

همام : با لله هل تُعْرف معنى الحب؟   ومــا بــه مــن فــرَح وكـــرب
وهل سَعِــدْت مرة بالقــرب   أم أنت مثلـــي مستطـــار اللبّ
لـمّـــا يَفُــزْ من حوضـــه بشـــرب

عامر : أنتَ إذن يـــا صــاحبي سـعيدُ   وإنّــي وحــدي أنــا المعمــود
من بعـــد ما طابَ ليَ الورود   حَلانــي عن حَوْضِهـــا الصُّدود
فليـــسَ ليَ صَـــبرٌ ولا مَجلـــــود

همام : أنــت السَّعيد وأنــا المنكــودُ   فـالوَصل مهما قـلّ فهــو عيــدُ
تُشفَــي به من دائها الكُبـــود   لكنَّ هجــري الأبَــدُ الأبيـــدُ

ليتَ الزَّمــــان لي بــه يجـود   وبعـدَه تطويــنى اللُّحـــود !!

عامر : يَظهر لي من بعض ما أراكـا   أنـك تهواهـا كمــا تهواكــا
يا ليت حظي من وجودي ذاكا   إذن لكنت حامـــدًا مـــولاكا
وما شكــوت مِثـــلَ مُشـــتكاكا

همام : عــامر ممـــا زادَنــي ارتباكـــا   أنَّـا اشـتركنا في الهوى اشـتراكا
أشكو نواها وهي تشـكو ذاكا   فيَستهـــلُّ مَدمعـــي اشـتباكا
لـمـــا بَلاهـــا وبَـــلا أخـــاكا

عامر : (في حـزن)
لا تحسَبنَّ هَجرها هجرَ شـرَف   لفرط غنـج أو دلال أو ظَـرف
لكنـه أشنَـــع ذنب يُقـــترف   تترُكـــني زوجًا إلى غـيري تزف
وصـــكُّ عقـــدِها معـــي لما يجـــفْ

همام : ربّاه في كـل مكـانِ ذو شـغف   يُسلمه الحـبُّ إلى مهـوى التَّلـف
رحماك بالعشاق من حور الهيف   ما غار من غور و لم يَعل شـرف
إلا وفيـــــه مغـــرَم القلب دنِـــفْ

* * *

المشهـــد الرابـــع

(يصلان إلى حي عامر في الريدةِ (بلاد البدو) . يذهب عامر لسقي جمله وإراحته ويسلم هماما لأخته ناهية)

ناهيـة : (منتقبة لا يرى منها إلا عيناها)

أهـــلا بمـــن وافـــى دار أخـــي عـــامر
إنـــزل علـــى الرحـــب في المـــنزل العـــامر
وأمـــر بمـــا شئـــت فإنـــك الآمـــر

(تهيئ أدوات القهوة وتباشر إصلاحها)

همام : بـــورك يـــا أخـــتُ فيـــكِ وفي عـــامر
سَـــرَّيْتما عـــني بلبـــاليَ الشـــائر
سماحـــةُ البـــادي يجهلهـــا الحـــاضر

ناهية : (منادية)

هلـــمّ يـــا سُـــعْدَى هلـــمّ يـــا لبْنَـــى !
لنلـــمّ حيّـــين ضيـــف أخيكنَـــا

(تدخل فتاتان جميلتان متلثمتان وتصافحان هماما . ينظـر إلى إحداهما همام نظرة كالسهم . تلاحظ ناهية ذلك) .

ناهية : (لهمام)

إنـي أرى عينيـك عيـني شـاعر قـل مـا تشـاءُ ويـك لا تحـاذر
لا بأس عنـدنا بلحـظِ الناظر إنّا نـــرى العفّـة في الضمائـــر

همام : رأيــــت بـــدرًا نصفــــه في الســحب والنصــف مبــين
هـــبي عليهـــا يـــا نســـيم واكشـــفي ذاك الجبـــين !

(تضحك الفتيات وتقهقه ناهية)

ناهية : لـــو أزاحـــت لثامهـــا لــك مــا أنــت فــاعل ؟
ولـــو انجـــابت السحائـــ ـــب مــا أنــت قــائل ؟

همام : ســأريها الغِــزال لـــو أن بـــدرًا يغـــازَل
وســـتروي روائعـــي في هواهـــا القبـــائل

ناهية : همـــامُ ! مـــا البدويَّـــا ت عنــد غيــد المدائــنْ ؟
الموقَـــراتِ مـــن التـــبرِ حاليـــات المحاســـن
كأنمـــا أنـــتَ بـــالبَد و ســـاخر أو مداهــــن !!

همام : لا والـــذي فلـــقَ الحَـــ ـــب ، ســرُّه فيــه كــامنْ
لفـــي المَهَـــى البدويَّـــا ت معجـــزات المحاســـن
لحـــاظهن ســـهام لهـــا القلــوب . كنـــائن
قدودهـــن رمـــاح في كـــل قلـــب طواعـــن
جمـــالهن الطبيعـــي زاخـــر بالمفـــاتن

ألم تسمعي ما قال شاعر يعرب   أبو الطيب السامي على كل شاعر
تحامي حسان الحضر في الشعر ناسبًا   بما في البوادي من مهيّ وجآذر
ما أوجه الحَضر المستحسنات به   كأوجه البدويات الرعايب
(حُسن الحضارة مجلوب بتطْرِية   وفي البداوة حسن غير مجلوب)

(يدخل عامر)

عامر : يا مرحبًا بهمام النّدب   إنزل على سعةٍ على رحب !
هل تشركوني في حديثكم   فلعلّكم تجلونَ من كربي

ناهية : ضيفكَ يهوى البدويّات   ولا يحب الحضريات

عامر : أتحِبُّهن همام ؟ إنك شاعرٌ   ماذا تعشّق في ظباء الباديه ؟

همام : أهوى بساطتها وأهوى دلها   ولحاظها مثل السهام الماضية
وتُميلني سكرًا طِوال قدودها   وتَشوقني منها الخلال العاليه

عامر : إن كنتَ تعشقها فخذ لُبْنى   (مشيرًا إلى لبنى)
وخذ إن شئتَ سَعدى (مشيرًا إليها)
(مشيرًا إلى ناهية) أو فخذ لك ناهية

(يضحك الجميع ويضج المجلس بالضحك)

ناهية : أما أنا فلا أحبُّ شاعرا   يَلفِظني تمرًا ويهواني رطب

يُطالع الغيدَ الحِسانَ دهرَه   فكلما أبصرَ حسناءَ نسب

همام : إني لأدرى من طباع الغيد ما   يُبين لي من قولك المشْتبَها
لا شيء كالشاعر أحظى عندها   وإن تكن تكرهه زوجًا لها

عامر : بأيّ شيءٍ يفْضلُ الشاعر يا   همام عند الغانيات من عداه ؟

همام : لَقبلةٌ واحدة من شاعر   أحلى وأشفى من ألوف من سواه
يودِعها مُهجته فيرتوي   منها الهوى . وينقع الحب صداه
يطبَعُها على الجبين ذاكرًا   كل خليل في الزمان وهواه !
كأنما يجمع تاريخَ الهوى   بقبلة الخدَّين أو لثم الشفاه

(ينتفض انتفاضة فجائية كأنما تذكر أمرًا عظيما . ويبقى ساعة في ذهول)

أستغفر الحب لقد   أشركتُ في عبادته
ماذا أقول لحبيبي   خُنته في غيبته ؟
أيدَّعي هواه مَن   يُخْفِره في ذمته

* * *

كأنني بالحب يبلو   ني بسوط نِقمته
ألحدتُ في توحيده   لم أخشَ من عقوبته
أكلما لاح جمال   هِمت في صبابته ؟

ناهية : عـــامر ! مـــا للضيـــف لجَّ غارقًـــــا في غشـــــيته ؟
إنـــي أخـــاف أن يصـــا بَ في الحمـــــى بميتتــــــه

عامر : دعيــــــه ! خليـــــــه ! فـــإني عـــارفٌ بمحنتــــه
ســـينجلي عنــــه الـــذي أصابـــــه مــــن ســـــكرته

همام : (باقيًا في ذهوله غير منتبه لما بين يديه مستطردًا في حديثه)
يـــا حســـنُ ! لا تعـــاقبي عبــــــدك في جريمتــــــه
فقــــد أتــــاك تائبًـــــا مــــن ذنبــــه وهفوتــــه
مـــا كـــان إلا عـــابدًا حُســــنك في قداســـــته
يشــــهَده في كـــل وجــــــــــهٍ زاخـــــر بفتنتــــه
في طَلعــــة البــــدر ، وفي الظـــبي وحُسْـــن لفتتــــه
وفي زهــــور الــــروض في ربيعـــــه ونضرتـــــــه
وفي وجــــوه الغيــــد شـــيءٌ مـــن ضيــــاء غُرَّتــــه
يختلـــف المحـــراب والـــرّ بُّ بوحدانيتـــــــــــــه

(يـدار بعـامر ويغشـى عليـه . ترتـاع أخواتـه وتـأخذن في تنبيهه برش الماء عليه)

ناهية : عامـــر!

عامر : هــا !

سعدى : عامـــر !

عامر : هــا !

لبنى : عامـــــر !

ناهية : قـــم يا عامـــر !

همـــام

همام : **(مفيقًا من ذهوله)**

مــا لعــامر ؟ هــل نــــ ـــام ؟

ناهية : **(لنفسها)** يهـــذي الآخـــر !

(ثـم لهمـام) أمـا تـراه سـاقطًا مغمـى عليـه يـا همـام ؟

روعتمـــــا قلوبنـــــا الليلـــة في هـــذا الظـــلام ؟

همام : لا تخـافي سـوءًا علـى عـامر إنـي لأدرى بمـا يعانيـه عـامر

أسمِعيـه اسـم زوجـه يصـــ ـحُ من إغمائـه

ناهية إنهـا لـزوج غـادر !

همام : إن تكـن غـادرًا فـإن هواهـا لجَّ في نفس عـامر والشراشـر !

ناهية : إنـه قـد سـلا هواهـا ؛ أيهـوا ها وقد آثرت عليه ابـن جـابر ؟

همام : صدّقينـي بأنـه مـا سـلاها إنـي عـارف لـه ومخـامر

ناهية : غصـنُ ! يا غصـنُ !

عامر : (يمسح جبينه)

أيـــن غصـــنٌ أجـــاءت ؟ مرحبًا مرحبًـا بـأكرم زائـر !!

راجعيـــني يـــا منيـــة القلـــب بـا لله فإني لما جنيـتِ لغـافر !

(بصوت منخفض)

أو فخافي من عامر فسيرديـ ـك ـ على رغم أنفه ـ وابن كاسر

(يجلس فلا يرى إلا همامًا وأخواته)

أين غصنٌ أيممت جهة المخدع؟

ناهية : يـا عـامر انتبـه يـا عـامر !!

لم تجئنا غصن ودع عنك غصنًا إنَّ في حيِّنا مثـات الحرائـر !

همام : (لعامر)

عـامر قـم بنـا نصـلّ فرضنـا

(يلتفت للنسوة)

وقمـنَ أنـتنّ فهيئـن الوضـوء

وقمـن صلـين جميعًـا خلفنـا

ناهية : ويحك هل على النساء مفترض ؟

لا نعرف الصلاة هل تريدنـا مثل الرجال للصلاة ننهـض ؟

حسب الفتـاة عندنـا استقامةً بأن تصـوم الشـهر إذ ترمـض

عامر : حتى الرجـال بعضهـم يصلـي والأكـثر الأكـثر مـن تخلّـى !

وكنت فيما مـرّ مـن أيـامي أخشى من الخمس على أنعامي

فإن غضبت مـرة على جمـل رميتـه بركعتيـن فاحتمـلْ !

حتـى علمـتُ بعـد ذاك أنـه   وهـمٌ فأقسـمت لأتركنـه
ومنـذ ذاك مـا تركـت الخمسـا   ومـا رزئـت بَكـرةً أو عنسـا

همام : رباه هل تبلـغ دعـوة النـبي   إلى ربي الصين وأقصـى المغرب
وتخطئ الدعـوة أرض العـرب ؟؟

عامر : همـام ليس الذنـب للأعـراب   الذنـب ذنـب قـارئي الكتـاب
من ساكني الحضر ذوي الألباب   إذ لم يشـوا دعـوة الوهـاب
في البدو أهل الجهل والغـلاب   وعطّلـوا بأوهـن الأسبـاب
وصيـة النبـي والأصحـاب

همام : (في أسف وحزن)

شـغلتهم قبـابهم والقبـورُ   أن يقومـوا بدعـوة أو يسـيروا
حسبوها في نسكهم كل شـيء   فعـلام الإدلاج والتهجـير ؟
كل (شيخ) و(سيد) عنـده قـبر   إليـه التيسـير والتعسـير !
وإليـه اللجـا وفيـه المرجَّـى   وعليـه التكـلان وهـو المجـيرُ
كاشفَ الضرّ إن أُصيبـوا بسـوءٍ   فإليـه ابتهـالهم والحضـور
وإذا مـا ابتغَـوْا قضـاء مـرام   فإليـه قربـانهم والنـذور
كيف ترجى هداية البدو منهـم   وهـمُ عـن سنا الهدايـة عـور ؟
إن حسـب البداة أن يسـتظلوا   في حمـى دَجلهـم وأن يستجيروا
ويكونـوا علـى هواهـم نـزولا   بيديهـم شـئونهم والأمـور
حسب ذلك الخضوع ليُضحُوا   سُعـداءً وذنبهـم مغفـور

آه لو هُـذِّبَ البـداةُ لأمسـوا وبهـم للأنـام خـير كثـير
ولكفوا عن قتل بعضهم البعض وقَطـع السـبيل وهـو كبـير
ولساد الأمـانُ وانبسط الخـير وزال الشـقا وعـم السـرور

* * *

المشهـد الخامـس

(تشرق الشمس ويقوم عامر يشد جمله وهمام يشد حماره يتهيآن للسفر)

همام : (راكبًا على حماره وعامر يحث جمله)

عامر ما كان حديث البارحة ؟ سوء ختام بعد حسن فاتحة

عامر : أنت الذي شَببتَ بالتذكـار نارًا بقلبي يـا لهـا مـن نـار !

همام : كيف انطرحت ساقطًا مغمى عليك ؟!

عامر : كيف هذيت والنسا بين يديك

همام : لا . ما هذيت ...

عامر : وأنـا لم أنطـرح وإنما قلت لجسميَ استرح !!
أوّاه ! لو لم تكـن اليـوم معي لكان لي شأن مع الخِب الدعي !

همام : يا عامر اتَّئِدْ وخلِ الطيشا فقتلك النفس يُمرُّ العيشا
دعها وما اختارت وخذ سواها فأبلغ النفس بها مناها

عامر : همام هبها لك هل تقوى على أن تلزم الصبر على هذا البلا ؟
لا والنبيِّ المصطفى المختار !

همام : ويحك ! لا تحلف بغير الباري
فإنه نوع من الإشراك بخالق الأكوان والأفلاك
وقد نهانا عنه سيد البشر أليس في قول الرسول مزدجر ؟

عامر : أقسمت بالله ورب البيت ورازق الحي ومحيي الميت
لأسقينَّ النغْلَ موتًا أحمرا وأروين من دمائه الثرى
وأفتكنَّ بعده بالفاجره أقذِفها قبلي لدار الآخره !

همام : يا عجبًا تقتلها وترتقب بعد لقائها بدار المنقلب ؟

عامر : إني أحبها ، ولولا حبها لكان مني الطلاق حسبها
تأبى عليَّ غيرتي عليها تركي سوايَ آويا إليها
يرغم أنفي أن أسومها الردى وبعدها سوف أموت كمدًا !

همام : ألا تخاف غضب الرحمن في قتلك الأنفس بالطغيان ؟

عامر : من ذا يخاف الله بعد اليوما ؟ قد ذهب الناس فخل اللوما
أنت تقول الحلف بالنبي محرّم في شرعه السوي
فانظر إلى الأنام هل تورعوا عنه بنهي المصطفى وامتنعوا ؟
أما تراهم يلهجون بالقسم جهلاً بكل رمة من الرمم ؟
يرون إيلاءً بعبد الله أعظم من إيلائهم بالله

همام : ما أنت والناس ، عليك نفسك فليس من يدخل منهم رمسك
أعزز علي أن أراك عاقلا منور الفكر وتغدو قاتلا

عامر : همام إني شاكر ودادك ونصحك المحوض واجتهادك
فإن أطقت الكف عن ضلالي فالفضل للنصح النفيس الغالي
وإن تغلّب الشقا عليه فلست إلا من بني غزّيه !

* * *

الفصـــــل الرابـــع

المشهـــــد الأول

« همام ـ خـارج بـاب مدينـة الشحر سـاحل حضرمـوت عائدًا إلى سيوون ـ بعد أن قضى عـامين ببـلاد جـاوا ـــ راكبًـا على حماره ومعه دليلـه النجاب حـاملاً فوق ظهـره رزمـة مـن الكتب في غلاف من الشمع المتين » .

همام : أســرع الســير يــا دليــلْ ! أســرع الســير يــا دليــلْ !
إن بـــي ظمـــأةً لمـــا ءِ بســـيوون سلســـبيل
بُـــلَّ مـــني صـدى الجـوى واشـف مـن جـوفي الغليـل
ليت شعري ـ وكـادت النفــ ــس مـن يأسـها تسـيل
ومضـــت أربـــعٌ طـــوالٌ ـ وعمـرُ النـوى طويـل ـ
في انتظـاري ـــ والانتظـــا ر لأهـــل الهـــوى قتـــول
أتـــرى الوصـــل لي متـــا ح أم الوصـــل مســـتحيل ؟!
أئـــذا مـــا دنـــوتُ ميـــلا تبـــاعدْتُ ألـــف ميـــل ؟!
قسمًا بـالحبيب ! ـــ أستغــ ــفر اللّـــه ! ـــ بـالجليل
لا أرى الوصـــلَ ممكنًـــا أو أرى وجـــه الجميـــل
وأراه بعـــين رأســـي بـــلا حـــائل يحـــول !
وأحـــسّ اليمـــين في فرعـــه مـــرة تجـــول !

ضاق صدري ، وعيل صبـ ـري وضلتْ بي السبل !!
وتناهى بيَ الجوى وبرى جسميَ النحول
وتداعت أضالعي من نشيج ومن عويل
واستحالت قريحتي من ذكاء إلى ذهول
أتهادى كشاربٍ أوْهنتْ ساقَه الشَّمول !
جامحٌ في جوانحي يتلظى بلا فتيل
كلما قلتُ : ذاب قلبي وغالتْه منه غول
رجّ صدري خفوقُه فتوقعْتُ أن يميل !!
فحنانيك لا تَلم ! أو فلُمْ أيها العذول
ليت شعري هل لي إلى ما تمنّيتُه وصول ؟
فأماني أوشكتْ أن تموت من الذُّبول
أبحَقلي وحدي أنا الجد ب والخصب في الحقول ؟!
أسرع السير يا دليل أسرع السير يا دليل !

النجاب : يا أخا الحضر هل ترى رجلاً سيره ثقيل ؟
لست أحتاج أن تقول : أسرع السير يا دليل
لي من النفس سائقٌ ينهب الحزْنَ والسهول
أختشي أن يفوتني « نصر » نجّابُ (باعقيل)
(يصمت قليلا ثم يقول)
أين نصرٌ مني ؟ وأين من المضمر الهزيل ؟
أنا سَيْري منظم لا بطيء ولا عَجول
وهو يشتدُّ في الذّميـ ـل فيعتاقه الذميل

أنـا غـول القفـار وابـــ ـــنُ الديـاميم والمجـول
لا أبـالي إذا مشـيْتُ أذى الشـمس والوحـول

همام : مـا لتجارنـا عبـاديد شـتى يتبـارَوْن بغضـة وحقـودا
كـثروا عـدة وقلّـوا غَنـاءً وأضـاعوا بالافـتراق الجهـودا
وغـدَوْا كـلٌّ واحـد بـبريد مـا لهـم لا يوحـدون الـبريدا ؟
فيطيقـوا إرسـاله كـل أسبو ع ويجروا بـه نظامًـا سـديدا
إن في طوقهـم لـو اتفقـوا أن ينشئوا السفْن في البحار عديـدا
وبها يستغنون عن سُفن لأجـ ـنب يصليهم العذاب الشـديدا
ولقد كان للحضارم في البحـ ـر سفين أيام كـانوا أسـودا
جاريات من الخليـج لبحر الـ ـهند حتى (أندونيسيا) لتعودا
داؤنـا أننـا نخيـب جماعـات وقـد نـدرك النجـاح فـرودا
أسرع السـير يـا دليـل ! أسرع السير يا دليـل !
واصـل السـير لا مبيـت ـ إذا شئت ـ أو مقيـل

النجـاب (**متهكمًا**) :

أسـرع السـير يـا دليـل أســرع السـير يا دليل
هــل ترانــي طيــارةً هـل تراني أُوتومبيل ؟؟

(يشيربيده إلى طريق السيارات التي بدئ بإصلاحها بحضرموت بين الساحل والداخل حيث يرى العمال يشتغلون بتعبيدها)

دونــك انظــر طريقــه ! فتنهَــى عمـا قليــل

همام : ليتــه قــد مشــى فــأو صلني الليلـة (السحـيل)(١)

(١) الجانب الغربي من سيوون .

النجاب : لا رعـــى الله عهـــده إنـــه عهـــد عزرئيـــل
لا تقـدره يـــا إلـــهي وعسّـــر لـــه السـبيل !
وإذا تمّ فابْلـــــــهُ بـــأذى البـدو والقبيـــل !
وإذا مـــا مشـــى فـــلا فـــارق الوحـــل والسـيول !

همام : قـــل لي لأيـــة علـــة أبغضت خلْقًا مـــن حديـد ؟
مـــاذا جنـاه عليـك حتـــ ـــى خلتـه الخصـم العنيـد ؟

النجاب : هـو قـاطع رزقـي القليـــ ـــل غـدًا وأرزاق العديـد
مـــن كـــل جمّـــال وحمّـــ ـــار زمـــاش بالـــبريد
أتريدنـــي كـــالحضر إذ خـــالوه مفتـــاح السـعود ؟
وبشـــير آمـــال النهـــو ض وفجـر أيـــام الصعـــود
تعِسـوا وخـاب رجـاؤهم وتعـثرت بهـم الجـدود !!

همام : (لنفسه)
فهِمَ الفتـى البـدويُّ مـــا لم يفهـم النـدْس الرشـيد
(ثم للنجاب)
حُيِّيتَ مـــن فطِـــن فـدا ؤك كـــل ذي ذهـــن بليـد
مـــا قلتَـــه كـــاف لِيُمْــ ـــقَت مـــا يضـر ولا يُفيـد
ووراء ذاك ســـوام أبـرصَ تنفــث الســـم المبيـــد
شُـــلَّ الممـــالك والشـــعو ب وهيضـة العصـر الجديـد
مـــن كـــل لـــص قـــاتل للمـــال والخلـــق الحميـــد
لكـــن ظلـــم النـــاس بعـــ ـــضهم لبعضهـــم عتيـــد !
ليعيـــش فـــرد واحـــد لا بـــأس مـــن شـعب يبيـد!!
ولســـوف يجنون النـــدا مـــة منـه والأسف الشديد !

المشهـــد الثانـــي

« منبسـط مـن الأرض فسيح يـرى في آخـره مـن جـانب الوادي مدينة « سيوون » على بعد بحيث لا يتبين النـاظر إليهـا إلا بياض منائرها وأبنيتها العالية محفوفة بهالة عظيمة من خضرة النخيل المحيطة بها من نواحيها » .

همام : أهـــذه ســـيوون أم جنـة عـدنٍ أزلفـت للمتّقـين
للّـــه مـا أجملهـا مَنظرهـا الزاهـي يسر النـاظرين
تحسبها ــ من بُعْـدٍ ــ حديقةً خضراءَ تسقى من معين
قـد نـثرت في تُربهـا جنابذُ اللؤلـؤ والـدرُّ الثمـين !
تفـوح في أرجائهـا روائـح الـورد وَعـرف اليـاسمين
يحنـو عليهـا جبَـلٌ كما تضمُّ طفلها الأمُّ الحنـون !
تضـرب في أجوائهـا منـائرٌ تخفـى مـرارًا وتبـين
كأنهـا أعمـدةٌ قامت عليهن السماوات المتـون
تجعلهـا الرِّيـاح في تَلعابهـا أهدافهـا إذ ينـبرين
أو كقـرون حـامل الـ أرض على قرنيهِ فيمـا يزعمـون
أثقلـه آثامهـا فمرَقتْ من جوفها تلك القرون
قِبابهـا زاهيـةٌ لو لم يكن حرمها أسمـح ديـن

هـدّم بعضهـا (بنـو الـــ ـتوحيد) فيما قد خلا من السنين
فهـــي تـــرى كأنهـــا بيض نعام أجفلت من صــائدين
ريعـت فداســت بعضــه فهو على الأرض فليقٌ وطحين

* * *

لئـــن يكـــن منظرهـــا وحسنها الزاهي متاعَ المبصريـن
فـــإن في مَخْبرهـــا خـير متـاع لقلـوب النـازلين
تفـــرّدَت حِســـانها بالظرف واللين إلى خُلـق متين
ورقـــةٍ كأنّهـــا نسيب (عبـاس) أرقته اللحون
كأنّمـــا أنـــت إذا جُزتَ بها تخطر ما بين الغصون
إيـــاك مـــن لحاظهـــا إياك أن تصرع من سحر الجفون

يتنهـــد

كـأن (حسنًا) أفرغـت علـى رباهـا مـن جمالهـا المُبـين
نضـــارَةً كخَدِّهـــا تَعُبُّ حتى ترتـوى فيهـا العيـون
ورقّـــة في جوِّهـــا كما تندى خَجلاً منهـا الجبين
في مائهـــا حـــلاوةٌ من ريق حسن ما خمور الأندرين؟
وفي محيّـــا شمســـها ملاحةٌ من ذلك الوجه الحسين
وفي قـــدود نخلهـــا من قـد حُسْنٍ هيفٌ بـه تزيـن
صباحهـــا الفضـــة قـد سالت على زمرّدٍ مـن الغصـون
وذهـــبٌ أصيلهـــا يبتعث الأنس ويهتاج الشـجون
مـــن نحرهـــا وثغرهـــا ووجنتيهـا سرقا تلـك الفتـون
وليلهـــا مُعَنْـــبر كفرعها في عَرْفه وفي الدُّجـون

مدينـــــة شـــــبيهها   في حضرموت وسواها لا يكـون

(يتـــأوه)

لـــولا توانـــى أهلهـــا   لقلـت هـذه جـزاء العـاملين

ليـس لديهـم عمــــل   إلا قضاء الوقت في لهـوٍ مشين

يشـــقون في غربتهـــم   بالجمع للمال وهـم مقتصـدون

حتـى إذا مـــا وصلـــوا   إلى بلادهـم إذا هـم يسـرفون

كـــــأنهم قيــــاصرٌ   يُبَـدِّدون المـال لا يكـترثون

ولا يفكّـــــــرون في   خدمتهـا بـالنزر ممـا يجمعـون

ولا يزالـــــــون في   غربتهـم صناعـة أو يحْذِقـون

لينفعـــوا أوطـــانهم   بهـا إذا عـادوا إليهـا راجعـين

* * *

المشهـد الثالـث

(همـام في مكتبـه وعنـده صديقـه محمـد يـزوره زيـارة خصوصية بمناسبة قرب زواج همام)

همام : محمـــدُ

محمد : لبيـــك !

همام : مـــاذا ورا ءك مـن خـبرٍ ؟

محمد : ليس عنـدي خـبرْ

سوى أن قلبيَ مستبشر بنيل المنى وبلوغ الوطرْ
وأنك سوف ترى من تُحِب قريبًا وينزاح عنك الكدر

همام : أخي أنا في مِرْية بعد في لقاء حبيب فؤادي الأغر
فقد درجت في انتظاري السنو ن وما بُلَّ من ظمأي المستعر
إذا وعدوني جُمادَى اللقا ء تلاشت جُماداهُم في صفر

محمد : همامُ زمان المطال انقضى وهذا أوانُ الوصال ابتدر
أتغري بقلبك بَرْح الشكو ك والوصلُ بعد غدٍ منتظر ؟
وهذي بيوتك قد زُيّنت وأهلوك في نَشَوات الحَبَر
وأكدتُ أمس على المطربيـ ـن - على رغم أنف الذي قد خطر -
بأن يحضُرونا مساء الزفاف وصبحَ الدخول وليل السمر

همام : سلمت وهل رضي المطربو ن بذاك ؟
محمد : رضوا بعد طول النظر
خشُوا المانعين لهم أولا فداويت بالمال ذاك الحذر
ومَنْعُهم الناس أن يطربوا كما يطربون . دليل البطر
وليس بذاك لهم حجة سوى كبريائهمُ والأشر
همام : محمد ! لا أبتغي المطربين على أنني لك ممن شكر
لئلا يقال : لحظٍّ هوا ه دعا للمساواة بين البشر
وإن سروريَ بالوصل لا بمن نَقَر الدّف أو من زمر
ولكن سيزدان بالمطربين زواجك ! هلاّ به تفتكر !!

صديقـي إلى مَ تحـامَ الغـرام ؟ إلى مَ فـؤادك مثـل الحجـر ؟
إلى مَ أراك وحيـد الظـلام وحيد المقيل ، وحيد البُكـر ؟

محمد : همـام رويـدك !

« يبتدره البكاء فيعوقه عن إتمام كلمته » .

همام : (لنفسه) ويلاه مـا لـ ـصديقيَ أدمعـه تبتـدر ..؟
أشـق عليـه كلامـي ؟
(ثم لمحمـد) محمـ ـد زلّت لساني ألا تغتفـر ؟

محمد : (لنفسه)
إلـهي أبحـتُ بسـر الهـوى وكنت علـى كتمـه أصطـبر ؟

ثم لهمام : صديقـي أتحسـب أنـك سـؤ تَ فـؤادي ودأبـك لي أن تسـر
أمثلـك يجرحـني قولـه ؟ فتلك لعمري إحـدى الكبر
ويا ابن الأكارم مـاذا جنيتَ حتـى تَنصـلَ أو تعتـذر ؟
همام كتمتك جُهدي الهـوى ولكن أبـى الحـب أن يستتر
همـام أتعهـد مـني البكـاء همـام أتعـرف فيَّ الخـور ؟!
وكنـت ألومـك فيمـا مضـى فيـا ليتـني كنـت فيمـن عـذر !
وأعجب كيف تصـول الظبـا ءُ على الأسد؟ حتى رمـاني القـدر!

همام : محمـد ! لا تحبسنَّ الدمـوع ودعهـا على رسلها تنهمـر !
فـإن القلـوب إذا أجدبـتْ بحـزنٍ فـإن الدمـوعَ المطـرْ !
وقـل لصديقـك أيُّ الظبـآ ءِ رمـاك وصـرّح لـه بالخـبر
فما في الصبابـة عـار على فتًى طاهر الذيـل عـفِّ الأزُر

محمد : (يكفكف من دموعه)

همـام أتذكـر « علويـة » نصيرتنـا في الجهـاد العسِـرْ ؟
سليلة طـه ، فتـاة الحجـى ، مِثـالَ الكمـال مثـال الطهُـر
أتتنـى يومًـا علـى حالـةٍ تُذيب القلـوب وتجري العَـبَر
محمـد ! هـذا أوانُ الغيـاث وهـذا أوانُ تـلافي الخطَـر
مضـتْ ليلتـان ومـا عندنـا مـن القـوت شيءٌ بـه نعتصـر
وأخـتي غارقـةٌ في السَّـقا م وإنـي لأحسـبها تُحتضـر
وزوجـةُ عمـيَ في طَلْقهـا تعـاني المتـاعب والوقـت قُـر
وعمـيَ سـافر منـذ شـهو رِ فـلا عـاش مضطـرُّه للسـفر
وكـان لدينـا بحانوتـهِ يعيـشُ ويتجـر فيمـن تجَـر
فشنّع إخوانه بـل عِـداه ـــ عليـه ، وقـالوا : لئيـم قـذِر
يُدنَـس أحسـابنا إذ يـرو ح إلى السوق كالناس أو يبتكـر!
فما أنهـتِ القـولَ حتىٰ غدو تُ ويوشِـك قلـبيَ أن ينفطـر
وأذهلهـا الحزنُ عـن موقفـي فلـم تتحفـظْ ولم تسـتتر
فأبصرتهـا مـن خـلال الحجـا ب كما لاح بين السحاب القمر!
رأيت الجمال ، رأيـت الجـلال رأيـت الهوى والشباب النضـر!
وراحـت تنـثُّ علـيَّ الثنـآ ءَ بما قـد قضيتُ لها مـن وطر
وقـد تركتـني سـليبَ الفـؤا د قليل القرار ، كثـير الفِكَـر
أردّد أقوالهـا في الضمـير تـرنُّ بـأذني كصـوت الوتَـر !
فهـأنذا بعدهـا يـا همـامُ قصـير الرقـاد طويـل السـهر
رحمتُ فأسعفتُ ثـم انثنيـتُ وفي كبـدي مثـلُ وخز الإبـر !
فلطفـك يا رب فيما قضيت فلم يُنْج مما قضيـتَ الحـذر !

همام : يا صديقي عندي إليك عتاب واطراح العتاب مني قبيح
أكذا تكتم الحوادثَ عنيٰ وبما دونها إليك أبوح ؟!

محمد : يا خليلي إن كان ساءك فعلي فاعفُ عني فأنت عني صفوح
إن عِبءِ الهوى عليّ ثقيلٌ وببثّيكَ سرَّه أستريح
غير أني كتمتهُ عنك جهدي حذرًا أن ينالك التبريح
ولو أني نظرتُ فيك لحظي يا خليلي للذّ لي التصريح

همام : خف عن ظهرك العناء لظهري فاسلُ عنه فإنه مطروح
إن ما أنت آملٌ سوف أغدو ساعيًا في تحقيقه وأروح
فدع الهم إنها سوف ترضا ك وحسب المليح زوج مليح

محمد : (لنفسه)
هو يدري بأن ما أتوخا ه مُحال من الأمور طروح[(١)]
فهو يبغي بذاك تخفيف حزني إنني بالأسى إذًا لذبيح

* * *

(١) بعيد .

المشهـد الرابـع

(ساحة كبيرة أمـام بيت العـروس « حسـن » فيمـا بعـد منتصف الليل . يرى هناك جمهور من النساء يصطففـن لزفهـا إلى بيت « همام » تتوسطهن « حسن » عليها غطاء لا تـرى منه . تحيط بهن الوصائف بأيديهن الشموع تتقدمهن القينات المغنيات بأيديهن الدفوف وهن يتغنين بينمـا الجمهـور يتحـرك ويتجه ـ في سير بطيء ـ إلى جهة بيت همام).

القينات : نحـن نـزُف الشمسـا والشـمسُ في ضُحاهـا
فمـا أجـلَّ عُرسـا يغمـره سـناها !

الجمهور : نحـن نـزُف الشمسـا والشـمسُ في ضُحاهـا
فمـا أجـلَّ عُرسـا يغمـره سـناها

القينات : نحـن نـزف الحيـا نحـن نـزف المُنى
نحـن نـزف الضّيـا نحـن نـزف السـنا

الجمهور : نحـن نـزف الشمسـا ... ...
... ...

القينات : يـا عُصبـةَ الغوانـي هَلـم للتطريـب !
اشـدون بالأغانـي واهتِفْـن بالنسـيب
واضمُـدْنَ بالأمـاني دوامِـيَ القُلـوب

الجمهور : نحن نــزف الشمســـا ... ...
... ...
القينات : حيّيــــين بالســـــلام هذا الشعاع المسكوب !
وافثَــــأن بالأنغـــــام كــل حزيــن منكـــوب
الجمهور : نحن نـــزف الشمســا ... ...
... ...
القينات : روائــــح الجنــــــان تعبق مـن هـذي الـدُّور
كأنمــــا المغــــاني أمسَتْ مراقص الحـور!
نحــن نــزف الشمســـا ... ...
... ...
القينات : نحــن نــزف الملَـــكْ في صـــورة الإنســـانْ
يجلــو ظــلامَ الحلَــكْ ويقشـــع الأحـــزانْ
فهــل لديكــم فلَــكْ بنـــوره يـــزدان !؟
الجمهور : نحــن نـزف الشمســـا ... ...
... ...
القينات : يـــا قمـــر الســـماء غُـضِ الجفـونَ أغـــضِ
بـــالذكر والأسمــــاء عــوذتُ بــدر الأرضِ
الجمهور : نحن نــزف الشمسـا ... ...
... ...

(يقتربون من بيت همام)

القينات : سُـــقْنَ إلى همـــام جمـــالَ هــذا النــادي
واحـــدونَ للضرغـــام لبــاةَ هـــذا الـــوادي

الجمهور : نحن نـزف الشمسـا ... ...

... ...

في الطابق العلوي من دار همام حيث تستقبل نسوة الدار النسوة اللاتي زففن « حسنًا » . تنحاز نسوة الدار إلى جهة ، ونسوة الزفاف إلى جهة أخرى والقينات في الوسط يضربن بالدفوف .

القينـات : اليُمْـن والإقبـال والسـعد والسـعادهْ

للمُعْرِسـين فـال والفضـل والزيـادهْ

شاعرة نسوة الزفاف : نحـن نـزف الحُسـنا نحـن نـزف بلقَيـس !

ثم سائرهن : نحـن نـزف لُبنـى فهل لديكم من قيس ؟

شاعرة نسوة الدار مجيبة : همامنـا كالمأمـون إن زففتـم بـوران

ثم سائرهن وهكذا في باقي الأبيات إلى آخرها

وإن تكُـن بلقيسًـا فإنـه سـليمان !!

نسوة الزفاف : النصـر للعروسـة !

نسوة الدار : بـل هـو للعـروسِ !

نسوة الزفاف : للـدرَّةِ النفيسـهْ

نسوة الدار : للجوهـر النفيـس !

نسوة الزفاف للحُـرَّةِ المصونـة وربـة الجمـالِ

للـدرَّة المكنونـة واسـطة الـلآلي !

نسوة الدار : لمفْخَـر المدينـهْ لسـيد الرجـالِ

نسوة الزفاف : النـاس يعرفونـه بكـرَم الخِـلالِ

نسوة الزفاف : النـور والشعـاعُ ووَهـج الشمـوسِ

والجوهـر اللمَّـاع   وحبَـب الكـؤوس
جميعهـا أشـياع   لهـذه العـروس

نسوة الدار : المجـد والكمـالُ   وكـرم الأخـلاقِ
والقـولُ والفعـالُ   وحسَـبُ الأعـراقِ
جميعهـن آلُ   عروسنا الغيـداق !

نسوة الزفاف : نحـن نـزف الحسـنا   نحـن نـزف بلقيسْ
نحـن نـزف لُبنـى   فهل لديكم من قيس ؟

نسوة الدار : همامنـا كالمـأمون   إن زففتـم بـورانْ
وإن تكـن بلقيسًـا   فإنـه سـليمان

القينات : كـلا العروسين زيْـنْ   للمجـد والعـلاءِ
فـلا تفـاضلن بيْـنْ   سـراجي السـماءِ
أيـن المجـرةُ أيـنْ   كواكـب الجـوزاءِ
أصوغهـنّ لذيـنْ   تـاجَين بالسـواء

القينات ثم الجميع : يـا رب باركهمـا   في ذا الـزواج السـعيد
واجعـل زمانهمـا   كأنـه يـوم عيـد
وانفحهمـا بـالوُلْد   مثـل دراري النجـوم
في ظـل عيـش رَغـدْ   وفي صفـاءٍ يـدوم

(ستـار)

الفصـــــل الخامـــس

المشهـــــد الأول

علويــة : (على فراش المرض . حسن تعودها في بيتها) .

علوية : عُدتِني حُسن؟ مرحبًا بـك يـا أخـــــتُ !
حسن : وقاكِ الإلـــه مـا تحذرينـا !
ما الذي تشتكين ؟ نفسـي فـداءٌ لـك مـن كـل علـة تشـتكينا !
علوية : أقصري حُسنُ أن تمنّيْ على ربـكِ سـوءًا لعلـه أن يكونـا
بل سلي الله لي الشفاء عسى أن يقبـلَ اللهُ منـكِ مـا تسـألينا
أو سـليه لِيَ العـزاء فـإني لا أرى الـداء تـاركي أو أبينـا
حسنُ ! إني أُحِسّ في الصدر نـارًا تتلظّـى كـأنّ فيـه أتونـا !
أشرب الكأس بعد أخرى من الما ء فـلا أرتـوي كمـا ترتوينـا
أحسِب المـاء يسـتحيل بجـوفي لهبًـا في الحشـى يئـن أنينـا
أنـا لا أسـتطيع أن أدَع المـا ء ، ولا المـاء قـادر أن يُعينـا !
حسن : لا تخافي سوءًا فمثلُكِ في العفّـ ـة والنبـل مـا نمـى الوالدونـا
تبذلـين المعـروف جهـدك للنـا س ، وتولـين منهـم المسـكينا
وتراعـين للجـوار حقوقًـا وتواسـين بائسًـا وحزينـا
وتوالـين مـن يحـامي عـن الحـق وإن غـاظ فعلـك الأهلينـا
فإله الـورى سـيرعاكِ ، لن يتــ ــرك يومًا عبـاده المحسـنينا

علوية : قدْكِ ؛ هذا جميلُ ظنك في أخـ ـستكِ ، لا خيّب الإلـه الظنونـا
إن ربـي بخَلقـه للطيـفٌ يتـولى عبـاده الصالحينـا
غـير أن العبـاد بعضهـم يظـ ـلم بعضًـا ، عن ربهـم ساهونا
أنظريني هل بي سوى ظلم أهلي لي وأبنـاء عمـي الأقربينـا ؟
وتصدّيهـم لمـا ليـس يعنيـ ـهم ، وعن واجباتهم يعرضونـا
مات زوجـي ووالـدي فلـم يُبـق لي الدهـر عـائلاً أو خدينـا
غيرَ عمي ــ وأنت تدرينَ ما عمـ ـي ؟ فقـيرٌ ينـاهز الستينا
قد وهَى جسمُه ، وخارت قـواه وابتـلاه السقام حينًـا فحينـا
ألجـأوه إلى السُّـفار ليجلـو عنهـمُ العـارَ ، هكـذا يزعمونـا
زعمـوا أن بيعـه وشـراه يكسوان الأشراف في القطر هونـا
ثم إنـي مكثتُ في عصمـة الأيـ ـم وفي رِقْبـة الـزواج سـنينا
لم يجئـي منهـم ليخطُـب ودّي أحـد غـير فتيـة عاجزينـا
وأبـي عـالم وجـديَ حِـبرٌ وأصـولي أئمـة متقونـ
ولعـل المـرآة تصـدق عـني إن وجهي ما كان في الحسن دو
حسن : بـل تعالى الـذي براكِ ، وحـلاً لكِ جمـالاً يحـيِّر الناظرينـا !
سـطعت أنـوار النبـوّة فيـه فاستحالت مباهجًـا وفتونـا !
علوية : وأتاني محمـد وهـو مـن بيـتٍ حسيب أصـلاً كمـا تعلمينـا
رجـل يمـلأ الصـدور كمـالاً وخـلالاً كمـا يسـر العيونـا !
كـان لي كلمـا تضـايق حـالي سـاعدًا قبـل خطبـتي ومعينـا
وهو كفئي وكـفء أفضـل مـني حسـبًا أو فضيلـة أو دينـا
فـأتوْا يزجرونـني عنـه حينـا ويسـومونني التهـدُّدَ حينـا
مـا رأوْا لي من قبـل ذلك دارًا فأتـوْا بعـد ذاك يستبقونـا

ما ثناهم عن خطبتي غير فقري ... ليس عندي ملمال ما ينشدونا
ذهبوا لابنة الغني وإن لم ... يك من بيتهم وإن كان دونا
وانبروْا يمنعوننا من سواهم ... فلمن ويْحَنا إذاً يتركونا ؟
فدعيني يا حسن أبكي مصابي ! ... بِمَ أبكي وقد أرقتُ الشئونا ؟
رب ! كن لي وللتعيسات مثلي ... ليس بين الأنام من ينصفونا

(لا تتمالك حسن عن البكاء فتنهمر الدموع من عينيها)

علوية : مِمّ تبكين حَسنُ ؟

حسن : من أجل بلوا ... كِ فؤادي أحسبه مطعونا !
تب ذا العيش! لا هوى ليَ في العيـ ... ـش إذا لم تحظَيْ بمن تعشقينا

علوية : أقصري حسن! بل يظل همام ... بك في غبطة بها تسعدينا

حسن : نحن نحيي وأنتما ؟

علوية : فوقنا اللّـ ... ـه سيأسو جراحنا ويلينا
فوقنا اللّـه ..

حسن : فوقنا أيضًا اللـ ... ـه سيأسو جراحنا ويلينا

* * *

المشهـــــد الثانـــي

(حسن في غرفتها . همام داخل إليها) .

حسن : حبيبـــي ؟
همام : أجـــل مُنيـــتي !
حسن : أمـــا لـــكَ في قبلـــة ؟
تعـــال إلى جـــانبي أمـــا لـــكَ في ضمـــةِ !
همام : **(يهوى إليها)**
بلـــى يـــا حيـــاةَ الفـــؤا د ، ولبيـــكِ يـــا مهجـــتي !
هبيـــني لمـــاكِ هبيـــنيَ أطفـــئ بـــه غلـــتي !
هلمـــي نطُـــف بالحيـــا ة كـــالنحل بـــالزهرة !
فمـــا في المنـــى مثـــل قبـــ ـــلة الـــزوج للزوجـــة !
نـنـــال بهـــا نعمـــة وحســـبكِ مـــن نعمـــةِ
ونجـــني بهـــا لـــذّة ونـــاهيكِ مـــن لـــذّةِ
وهـــل كنعيـــم يجـــيء مـــن الله بالرحمـــة ؟!
حسن : حبيـــبي ! أمـــا لـــك عـــن هـــوى الشـعْر مـــن توبـــة ؟!
أبـــي أنـــا وحـــدي نسيـــ ـــبُكَ أم بـــي وبالنســـوة ؟
أرى نَـــبَرات العُمـــو م تعصِـــف بـــالوحدة
همام حبيبـــة قلـــبي ! أقِلّـــي علـــيَّ مـــن الغـــيرةِ
هلـــمَّ ادخلـــي للفـــؤاد وافضِـــي إلى الحبّـــة !
فهـــل تجديـــنَ بهـــا لغـــيركِ مـــن عُلْقـــة ؟

حسن : كــــذا فلتكـــن ليَ في حيــــاتي وفي موتــــتي
فمــا في حيــاتي خشـيتُ بــل بعدهــا خشــيتي !
حبيــبي اغتنــم ســاعة مــن الصفــو والبهجــة !
فقــد لا تطــول حيــا تــي ، وتقصــر بــي مدّتــي !
همام : دعــيْ عنــكِ هــذا ، وقــو لي ســوى هــذه الجُملــةِ
بربــــكِ لا تذكـــري لنـــا شـــبح الفُرقـــة !
فلــم نســترح بعــد مــن متاعبهـــا الجمّـــة
ولم نقْــضِ بعــض اللُّبــا نــةِ مــن هــذه اللُّقيَــةِ
حبيـــبيَ لا تُلْحِينـــي واشــفِق علــى عَــبرتي !
حسن : (تبكي) أحسُّ كـأن الحِمـا مَ منّــي علــى خُطــوة !
ويهمـــس لي خــاطري بــأني علــى رحلــة !
همام : دعــي عنــكِ هــذي الوســا وسَ ، جســمُكِ في صحــة
ووجهــكِ هــذا الجميـــ ـــل ينبُـــع بـــالنّضرة
وســوف تجوزيــن عُمـــ ـــرَ جـــدّكِ والجـــدّة
حسن : سَــلِمْتَ حبيــبيَ لي !
همام : ولي أنــتِ يــا بُنيــتي !
حسن : لقــد زال عنّــي الــذي شــعرت مــن الخيفــة
وذابــتْ همومــيَ مِنـــ ـــك في كوثـــر الجنّـــة
همام : فديتُــك ! حُسْــنٌ ســتبقى ببيـــتيَ كالشـــمعة !
وتـــأذنُ لي بـــالرّحيل لأمّ القـــرى مكــــةِ
وتدعـــــو لي الله أن يُقصّـــرَ مــن غيبــتي
كمـــا ترجّـــاه أن يحقـــقَ لي طِلبـــتي

حسن : أحجّــاً تُريد ؟

همام : أجــــــل وشــيئًا مـــن القُربـــة

لأســعى هنـاك لتزويــــ ـــج خلّــيَ مـــن خلّـــتي

محمــدُ جِلْــفُ الفــراش ينــوءُ مـــن العلّــــة

أضــرَّ بــه اليــأس في هـــواه لِعَلْوِيَّـــــة

وأخشــى عليــه المنيّـــ ــة مـن هـــذه الصدمـــة

وأخـــبرني أنـــه يمـــتُّ إلى العِـــترةِ

وأنَّ بـــأم القُـــرى معالـــمَ ذي النِسـبة

فقـــد جـاء منهـا أبــو هُ إلى هـــذه البلـــدة

وفتـــشَ في النســوة الـــ ــشرائف عـــن زوجــة

فقـــالوا لـــه : لانتمـــا ئــك في بيتنـا أثْبِــتِ

فثـــارتْ بـــه غضبـــةٌ وبـــورك في الغضبـــة !

ومـــالت بـــه عـــزّة وبـــورك في العـــزة !

وقـــال إذا لم يكُـــنْ لـــديّ ســوى نِسْــبَتي

فــلا بـــارك الله في خـــلالي ولا همّـــتي !!

وزَوجـــه ذو الجـــلا ل مـــن أمـــه الـــبرةِ

فعـــاش سـعيد الفـؤا د بهـــا هـــانئَ العُشـــرة

كـــذا عـــن أبـي أمِّــه حكـــى مُجمـــل القصـة

حسن : همـــام ! بيُمـــن الإلـــ ــه وفي الحفـظ والعصمـة !

يرافقـــــك الله في خُطَـــى هـــذه السَّـــفرة

وإنــــي لمســــرورةٌ برعيـــك للصُّحبــــة

ومَـــنْ كمحمـــدَ في ولائـــك والذمـــةِ !

بحبّكَ عطْفي عليه وحُبّي لِعلْوية
ألم يسعيا قبلُ في دخولك في عصمتي ؟
ألم يبذلا الجُهد في هنائكَ أو غبطتي
وقد عدتُها أمسِ وهي تَقَعْقَعُ بالزفرة !
بِنَفْسٍ تريد الحياة على جسدٍ ميّتِ !
تنوح على نفسها وتزخر بالحسرة !!
وقد أنفدَت دمعها فتبكي بلا دُمْعة !
رثيت لها يا همام ! وخفْتُ على خلتي
لأني أراها تُشير إلى الموت من خُفْية !
فمن أجلها يا هُمام شُكوكيَ في صحتي
وإحساسُ قلبي بأني قريب من النُّقْلة
ولكن لعلّ الإله يكشف من محنتي
سأمضي لتبشيرها وتفريجها بالّتي
لعلّ بها أن تكفَّ مِن عَلَن اللوعةِ !

* * *

المشهـــــد الثالـــث

(محمـد على فـراش المـرض . ليـس عنـده سـوى أمـه العجوز تعلله من حين إلى حين وتدخل عليه الخـادم بمكتـوب فيفضـه بيد مرتعشة فإذا هو من حبيبته علوية وإذا فيه) :

يا حبيبي ! مـني عليك سلامٌ وسلام الرحمن فوق سـلامي
يـا حبيبـي إن المنيَّـة جـامٌ كلنـا شـاربٌ بـذاك الجـام
والسعيد الذي يموت سليمَ الـ ـقلبِ عَفَّ الرداء من كـل ذام
فمتى جـاءكَ النَّعِيُّ بموتـي فـترحم علـى شـهيد الغـرام !
أنا في النزع يـا حبيبي فصبرًا لا تَضعضَـع لحـادث الأيـام
ووداعًا! إلى اللقاء! على الكو ثرا في الخلد! في جوار السلام!
إن تحلْ بيننا الحيـاةُ ففي الخلْـ ـدِ سنحظى بلقيـةٍ ووئـام
سيرى الحـائلونَ دون الحبيبَـ ـين جزآء الإلـه ذي الانتقـام

علويَّة

محمد : (يتقلب علـى الفـراش ذات اليمـين وذات اليسـار بجهـد ومشقة)

هي في النزع! آهِ ما أعظم الخطـ ـب وأقسى على فؤادي الدامـي!
هي في النزع! ربِّ هَون عليهـا! حسـبها مـا رأتْ مـن الآلام!
منعوهـا الحياة ظلمًـا فـأودَوْا بحيـاةٍ بريئـةِ الأحـلام
رب! لاخير في الحيـاة! فألحِقـ ـني بهـا واكفِني عنـاء السَّقام
هي روح الوجود مني وما يُصْـ ـنعُ بعد الأرواح بالأجسـام ؟

أكـذا نـترك الوجـود ولم نحـــ ـــظَ بوصل ، ولم نفُـز بمـرام ؟!
أكـذا يُرفـــع البســاط ومــا دا رَتْ على العاشقَين كـأس مـدام ؟

(يحاول أن ينحرف إلى جنبه فلا يستطيع من الضعف والإعياء)

رب مـاذا أحِسُّ ؟ هـذا فتــور عجَب في مفـاصلي وعظـامي !
خار جسمي فما أطيق حراكًـا! وتنـــاهت بُــرودة الأقـــدام
مـا لرأسي أضحى عليَّ ثقيـلاً وجفونــي يُغْريـــنَني بالمنـــام !
ويدي لا تطيق حمل سِـواكي ! ولســاني تعـــثرت بـــالكلام !
وفـــؤادي دقاتـــه تتـــوالى علَّ هـذا نذيرُ قـــرب الحِمـــام

(يتذكر صديقه همامًا)

أيـن ولّـى همـامُ ؟ يـا ليتـه عنـــ ـــدي أراه في مُنتهى أيـامي !!
نضـر الله وجهـه مـــن صديـــق مخلص لي على مـدى الأعـــوام
كم هداني من الضـلال، وكـم عبّـ ـــد سُبْل الحيـــاة مـــن قدّامـــي
أمّ صوبَ الحجاز في لفحة الصيـ ـــف حريصًا على قضاء مرامي
ليـس يـدري أنـي بمدْرَجَـة المـو تِ وأنـي علـى شـفير الرِّجـام
ومضـى غـــيرَ عـــالم أن حُســـنًا مُنِيَـــت بعـــده بحُمَّـــى لِـــزَام
ليت شعري إن جاء نعيي همامًا ثـم مـاذا تكـون حـال همـــام ؟
أو أصيبت - لا قدر الله - حسـنٌ فهــي أدهــى فجــائع الأيــامِ !
وهـــو في غُربـــةٍ وليـــس لديـــه مـن يهـــدِّي فـــؤاده المـــترامي !
سُـنَّ يـا رب بالشِّـفاء عليهـا لا تذَرْهـــا رَميَّـــةً للســـهام

* * *

إن مِن خلفها فتًى ينصــر الحق جهــارًا وعن هـــداك يحامـــي

شعَّ من هديه على القُطْر نور   فـإذا مـات عـاد للإظـلام
واستعاد الجمودُ سلطانه الضخـ   ـمَ ، وعـزَّت سواعد الأوهام
هي سُلوانه الوحيد من الدنـ   ـيا إذا ضاق بالخطوب العظام
عَوْنُه إن جنى الجهاد عليه   وأراه تنكُّـر الأقـوام

(يمسك بيديه على أضلاعه)

يا فؤادي دنا الخلاص! فصبرًا   سوف تسلو هذي الجراح الدوامي!
وستلقى الحبيب في ربوة الخلـ   ـد يحييك ثغره بابتسام !
وسأغدو إلى الإله فيعفو   عن ذنوبي وسالف الآثام
وسأشكو إليه من رَزَأوني   ـ في ربيع الحياة ـ في أحلامي
وأراقوا دمي البريء ، وضحَّوْا   بحبيبي في مذبح الأوهام !
تخذوا الدين جُنَّةً يتوقَّوْ   ن بها في الورى سهام الملام
فسيدرون أنني عَلَويّ   تنتهي نسبتي لخير الأنام
غير أن الحِمام أهون عندي   من فخاري بالجد والأعمام
وادِّعائي به على الناس فضلاً   يتقاضاهُمُ رسوم احترامي !
عَزَّ دين الإسلام ! قد جعل النا   س سواء في شرعه المتسامي
لم يدع ميزة لزيد على عمـ   ـرو ، ولا حارث على هَمَّام

(يلتفت إلى أمه وهي بجانب فراشه واهية الأركان ترنو إليه في ذهول وتتحادر دموعها ولا تستطيع الكلام من الأسى)

إصبري يا أماه ! فا لله أبقى   لك مني ومن جميع الأنام !

(يصوب نظره إلى السماء)

رب رفقًا بقلبها المتشظي ! وحنانيك بالدموع الهوامي !
كن لها إن أتت ضحىً بطعامي فتنادي وليس رب الطعام !
كن لها إن أتت سريرى لإيقا ظي ؛ فترتد عنه والقلب دام !

(تنحدر من عينيه دمعتان كبيرتان ويدخل في دور الاحتضار الأخير)

(بصوت متقطع)

رب! من ذا أرى ؟ ملائكة المو ت ؟ ألا مرحبًا بوفد السلام !
رب! إني آمنت أنك أنت اللّـ ـه رب الجلال والإكرام
ونبيي محمد سيد السا دات طه إمام كل إمام
كلُّ زادي إليك خالصُ توحيـ ـدي فَهَب لي يا رب حسن الختام

* * *

المشهـــد الرابـــع

همام في مكة بمنزل استأجره قريب من المسجد الحرام . يأتيه موزع البريد ويسلم إليه برقية من عدن . يوقعها همام فيخرج الموزع .

همام : **(بيده البرقية لم يفتحها بعد)**

برقيـــة ! مـــا شـــأنها قـــل لي ؟ هل مات لي أحد مـــن الأهـــل ؟
إنـــي أحـــس كـــأن حادثـــة جللا ســـتُفجعنى علـــى مَهْـــل
يـــا بـــرق مـــاذا أنـــت تحمـــل لي إنـــي أراك تَنـــوء بـــالثقل !
قلـــبي يحدثـــني ؛ ولم أره يومـــا يحدثنـــي علـــى جهـــل

(يفتح البرقية ويجيل نظره فيها بسرعة)

مـــاذا ؟ أماتـــوا ؟ أماتـــت حُســـنُ ؟ واكبـــدي
ربَّاه ..! خـــذ بيـــدي ! ربَّاه ..! خذ بيـــدي !

(يسقط من مقعده على الأرض مغشيًا عليه . يسمع جاران له من الحجاج هدة سقوطه فيفتحان عليه البـــاب حيـــث يجدانـــه

ملقى فاقد الشعور . يحركه أحدهما ويأتي الآخر بماء ويرشه على وجهه . يفتح عينيه ثم يتحامل على نفسه حتى يجلس) :

يا حسرتي اليـــوم فارقـــت الحبيب إلى
غير اللقــاء ! وواحزْنـــي وواكمـــدي ؟
أشكــــو إليك إلهـــي ما مُنيـــت بـه
من الخطـوب ولا أشكــو إلى أحـــد !
كأنمـــا أنا لم أخلَـــقْ لأشهـــد مِـــنْ
هـــذي الحيـاة سوى البأساء والنكـــد !
اليوم أسكـــب دمعـــي غـــير منقطـــع
إن غاض دمعـــي يمـــدُدْه دم الكبـــد !
يا رب لم يبـــقَ لي في العيـــش مـــن أرب
فلَقِّـــني راحـــتي في هـــذه البلـــد !

(ينظر مرة ثانية في البرقية)

أمـاتت إذًا حسنٌ؟ ومـات محمـد   وماتت علـى أثـر السقام فتاته !
ثلاثـة أحبـابي بيـوم فقدتهـم!   فيـا لفـؤادٍ أُثْخِنـت طعناتـه ؟
يذوب من الشكوى ويدمى من الأسى   وليـس إلى غـير الإلـه شـكاته
محمـدُ يـا خير الأخـلاء! والـذي   صفتْ مثلما تصفو المدام صِفاته
حنانيك لا تبعَد! لمن أنت تاركي؟   لقاسي زمانٍ أُولعت بـي عُداتـه ؟
ويا ساعِدَ الإصلاح والباسل الذي   به ارتفعـت في قطرنا صرخاتـه

أتمضي و لم نهتِك من الجهل سِـتره　　وما انفضَّ عن صرح الجمود حُماته ؟
أتمضي وفي جنبيـك قلـبٌ معطَّش　　من الحُب لم تُبْلَلْ بوصـلٍ لهاتـه ؟
أحين ظفرنـا بانتســابك واضحًا　　تُغِصُّ به حلقَ الحسـود شجاته ؟
أحـين ظفرنا بانتسابــك واضحًا　　تكُفُّ به طـرفَ الحسـود قذاتـه ؟
وكنت على قاب من الوصل هانئًا　　تطلَّـق عـن غُـرّ المنـى بسـماته ؟
وأنتِ فتاةَ النُبـل والطُهـر والحجـى　　تغشتك من رَوْح الرضى نفحاتـه
لضـاعفَ مـن حزنـي فراقـك أنّـه　　فـراقٌ بـه لاقـتْ حبيـبي وفاتـه
أراكِ وفـاءً مـا رأى النـاس مثلـه　　فـدًى لحبيـب بالوفـاء مماتـه
و لم أنسَـهُ لمـا رآكِ مريضـة　　فجاشت به في مشهدي حسراته؟

(تنهمر دموعه)

يقول : كـأني يـا هُمـام سـأنتهي　　كأن حِمامي قد أقيمت صلاتـه!
فقلت له: دع عنـكَ وهمكَ، إنَّ ذا　　محيَّـاك نَضْـر لم تَحُـلْ قَسَـمَاته !
فـأصغى لقـولي واطمـأن فـؤاده　　وقرّت ـ على سُخر الردى ـ رجفاته
ومـا كنـت أدري أنـي أنـا واهـمٌ　　وأن حبيـبي صـادقٌ كلماتـه !

(يريـد أحـد الجـارين أن يقيـم همامـا مـن الأرض فيجذبـه صاحبه)

دَعْـه يُرسـل دمعـه   من بكى الشجو استراح
وإذا مـا كَبَـتَ الـ   ـحُزْنَ في جنبيه طاحْ

الجار : ويحه مـن مُوجَع   دَمِيَتْ منه الجراح !
صاحبه : ما عليه الآن بـأ   س وقد صاح وناح
همام : حبيبي ! مالي في رثائك مقول   كأن فمي شُكّت برمحٍ لهاته !
رثاؤك في قلبي يهدّ أضالعي   وتدفع في أحنائها ضرباته
ولا يستطيع الشعر وصفًا لهوله   وتقصر عن تصويره خطواته
على أنه الشعر الذي الشعر دونه   سرت في الورى مسرى الضحى بيّناته
وإن قريضًا أنت مصدر وحيه   لَتسجد عُـزّاه لـه ومناته !
يميل بعطف الكون قدسيٌّ لحنه   وتعذُب في سمع الدُّنى نغماته
تَقطّعُ أعناق البلاغة دونه   وتُزْهَى به بين الأنام رواته
تُغَصُّ به حساده وهو سائغ   وأقتلُ ماء للحسود فراته
ولكنه الخطب الذي الخطب دونه   تلقاه قلب لا تلين صَفَاته
ولو غيره أضحى به بعض ثقله   لقامت عليه في المساء نعاته
فها هو ذا قلبي كسيرًا محطمًا   تفيض دمًا ثجّاجَةً جنباته
لمن أطلب العلياء بعدك ؟ إنما   حَدَتني إليها من سناك حُداته !
وأين سبيل المجد بعدك ؟ إنما   بنور محياك انجلت ظلماته
فأنت الذي علّمتَ نفسي ركوبه   ولولاك ما ذلّت لها صهواته !
ولقنتها حُب الهدى وجهاده   ولولاك ما اجتِيزَت لها عقباته
أتمضي وما جفّتْ رياحين غُرسنا   وما برحت بسّامة زهراته ؟
أتمضي ولما يَشْفِ قلبي أوامه   وما شقّقت أكمامها صبواته ؟
سلام على قَبْر الحبيب ورحمة   وغيث رضى ما تنتهي قطراته

لئن كان أنسي في الحياة لقاؤه　فانسي وهمي بعده ذكرياته!!
كأني بالثغر الجميل على فمي　ترف به في نشوةٍ قُبُلاته !
كأنّي بالفرع الجميل بمنكبي　تداعبني في عَرْفها خُصُلاته !
كأنيْ بيمناه تجول بمفرقي　فتلثمها في نشوةٍ شعراته !
لئن حالت الأيام بيني وبينه　وقُدِّر للشمل الجميع شتاته
ففي جنة المأوى غدًا سوف نلتقي　بفضل كريم لا تُحَد هباته
وإن عزاء القلب إيمانه به　وقد فارقته في الحياة حياته

(ينهض فجأة)

خذوني خذوني إلى المسجدِ　خذوني إلى الحجر الأسود !
خذوني إلى زمزم علها　تُبرد من جوفي المُوقَد !
خذوني لأستارِ بيت الإلـ　ـه أشُدُّ بها في ابتهالٍ يدي
دعونيَ أذهب إلى خالقي　دعونيَ أذهب إلى سيدي !
دعوني أحطْ على بابه　ثِقال الدموع وأستنْفِد
فإن أحيَ على لُطفه　وإن يأتني الموت أُستشْهَد

(يخرج إلى المسجد الحرام يرافقه جاراه . يقصد زمزم فيكرع من مائها يتوضأ ويذهب إلى المطاف يطوف .. ثم يقف تجاه الملتزم ويتعلق بستر البيت :

الحمد لله اطمأنَّ قلبي !　هأنذا بين يَمِينَيْ ربي ؟
إن عظُمت مصيبتي وخطبي　فالله يرعانيَ وهو حسبي !

* * *

يا رب أنت الواحد القهار   وأنت ذو الرحمة والجبّار
تفجّرت من نورك الأنوار   وقَصُرت عن كنهك الأفكار

* * *

يا رب لا نقض لما أبرمْتَا !   فَرَضِّني ربّ بما حكمْتا
لعلني أجهل ما عَلِمْتا   من صالح لي في الذي أقمتا

* * *

يارب ألهمني العزاء الشافي !   واضمِد جروحي منك بالألطاف
وآتِني عزائم الأسلاف   فأنت لي الكافي ونعم الكافي

* * *

وأولني مُناي في الدارَيْن   و(حُسنًا) اجمع بينها وبيني
في دار خلْد بين جنتَيْن   أقْررْ بذاك عينها وعيني

* *

يا رب وارفع (أمَّة الإسلام)   واقذِفْ بها إلى المقام السامي
حتى تُرى خفّاقة الأعلام   على جميع الكون بالسلام

* * *

وحّد (العُرْب) ، فإن الوحده   تحيي لها ماضِيَها وعهدَه
تعيد بعد الاندرَاس مجدَه   والله لا يُخلف يومًا وعده

* * *

وانظر إلى (الأحقاف) بالرعايةْ   وأولِها بفضلك العنايةْ
بالعلم والأخلاق والهدايةْ   فَجَلَّ عنها الجهل والعَمَايةْ

* * *

وصل يا رب على المختار   خير الأنام سيد الأبرار
وآله وصحبه الأطهار   ما طلعت كواكب الأسحار

* * *

هذا وقوفي خاشعًا بين يديك !   وتائبًا من كل آثامي إليك
متّكلا في كل أحوالي عليك   لبّيك يا رب الجلال لبّيك !

* * *

(ستار الختام)

للمــؤلف

١ ـ هُمام أو في بلاد الأحقاف
٢ ـ أخناتون ونفرتيتي
٣ ـ سلامة القس
٤ ـ واإسلاماه
٥ ـ قصر الهودج
٦ ـ الفرعون الموعود
٧ ـ شيلوك الجديد
٨ ـ عودة الفردوس
٩ ـ روميو وجوليت (مترجمة عن شكسبير بالشعر المرسل)
١٠ ـ سر الحاكم بأمر الله
١١ ـ ليلة النهر
١٢ ـ السلسلة والغفران
١٣ ـ الثائر الأحمر
١٤ ـ الدكتور حازم
١٥ ـ أبو دلامة (مضحك الخليفة)
١٦ ـ مسمار جحا
١٧ ـ مسرح السياسية
١٨ ـ مأساة وأديب
١٩ ـ سر شهر زاد

٢٠ ــ سيرة شجاع
٢١ ــ شعب الله المختار
٢٢ ــ إمبراطورية في المزاد
٢٣ ــ الدنيا فوضى
٢٤ ــ أوزوريس
٢٥ ــ فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية (محاضرات)
٢٦ ــ دار ابن لقمان
٢٧ ــ قطط وفيران
٢٨ ــ إله إسرائيل
٢٩ ــ هاروت وماروت
٣٠ ــ الزعيم الأوحد
٣١ ــ جلفدان هانم
٣٢ ــ قاب قوسين
٣٣ ــ الفلاح الفصيح
٣٤ ــ ملحمة عمر (١٨ جزءا)
٣٥ ــ حبل الغسيل
٣٦ ــ هكذا لقي الله عمر

رقم الإيداع : ١٠٢٢١ / ١٩٩٧
الترقيم الدولى : 4 - 1112 - 11 - 977